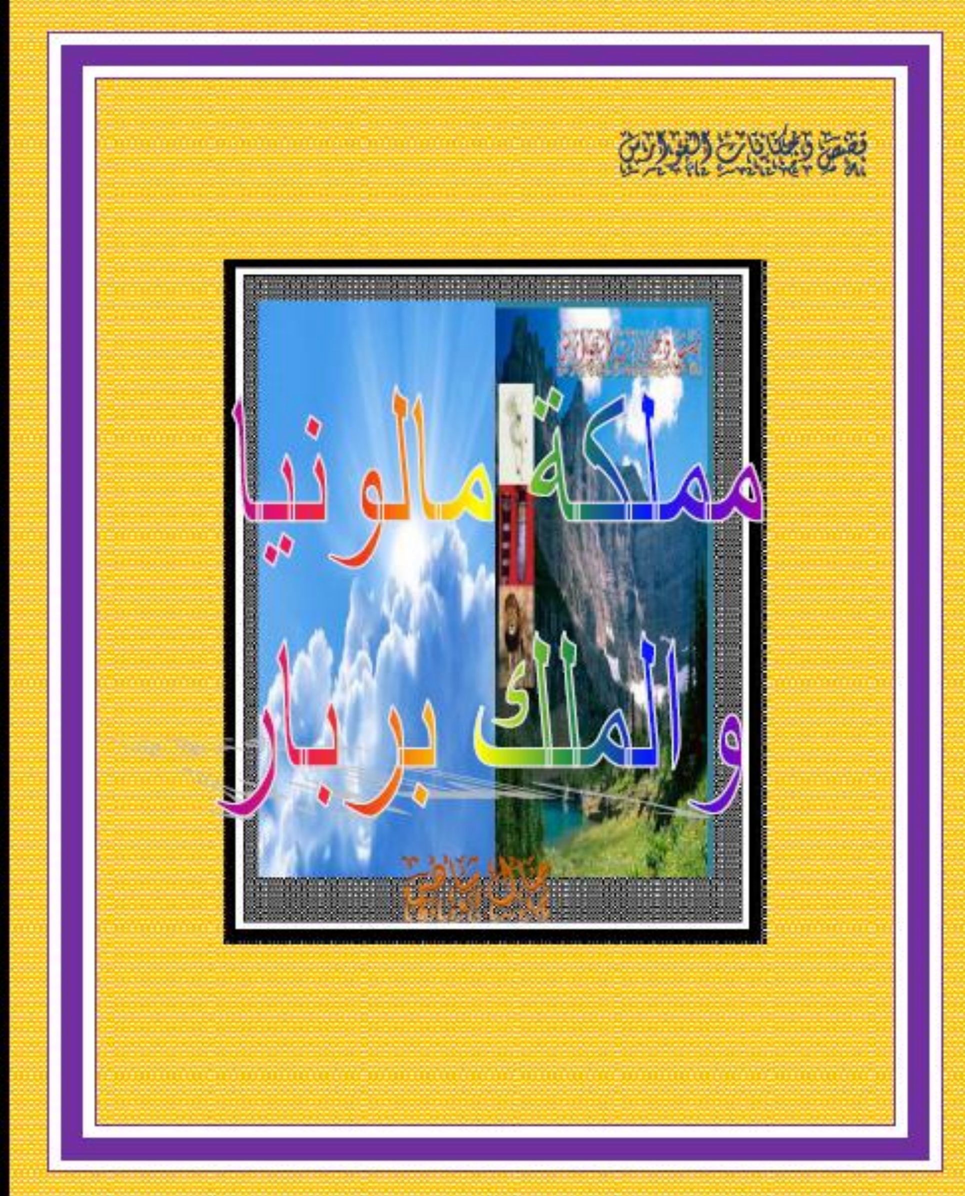




جمال شاهين

المكتبة الخاصة ٢٠٢١

بسم الله الرحمن الرحيم



جمال شاهين





القراصنة هاجموا القرى

وخطفوا الأطفال لبيعهم في سوق النخاسة كرقيق

ثلاثة أخوة بيعوا في مدن متفرقة

فالكبير اصبح قائدا عظيما محاربا غازيا

والأوسط صار وزيرا والثالث طبيبا

غزا بربار الشرق وصحبه أخواه على غير علم

ودخل عليه القرصان لبيعه فتاة خطفها

فاذا هي أخته التي ولدت بعد خطفه

فتعرف الأخوة على بعض بسببها

وترك حكم مالونيا للحكماء يحكمونها

واعتزل في جزيرة


مملكة مالونيا
الملك بربار

الأخوة الثلاثة

هرب أهل القرية في شعاب الجبال المحيطة بقريتهم ، فمنهم من اختبأ في الكهوف والجحور في ذلك الليل الممطر ، وكنت تسمع صراخ النساء والأطفال من عدة جهات ، واستمرت الحركة والهرب حتى وقت متأخر من الليل البهيم حينئذ خمدت الأنفاس وسكنت الأصوات وقد خرج رجال العصابة من القرية بعدما نهبوا بيوتها، وخطفوا الأولاد الذكور والإناث ، وساقوهم إلى شاطئ البحر حيث ترقد سفينتهم .

ولما عاد الناجون والأقوياء في الصباح إلى القرية بعدما انصرف رجال العصابة ، كنت ترى جثة هنا وأخرى هناك ، وتسمع أنين جريح ومصاب ، وترى آخر يلفظ أنفاسه وقد طال احتضاره ، ومنهم من وجد زوجته مقتولة أو أطفاله ، أو امرأة ناجية وجدت زوجها ميتا أو جريحا ، ومنهم من لم يجد أولاده وصغاره وأمواله ، فقد أخذهم قراصنة البحر ، عصابات خطف الأطفال ، فيمكن أن نقول بكل صراحة وراحة أن حالة القرية كما يقال حال يرثى لها بعد هجوم هؤلاء الأشرار، وانتشر الرعب والخوف في القرى المجاورة من هجوم عصابة الأشرار ، والذي يهمنا في هذا القصة أن رجلا في العقد الرابع من حياته عندما عاد للبيت وجد أن زوجته جريحة بجرح عميق ، وهي تدفع عن أولادها الشر الداهم ، ووجد هذا الرجل أن المجرمين أخذوا أولاده الثلاثة كلهم أسيد وذؤيب وصقير ، فأدرك أن العصابة أخذتهم لتبيعهم في إحدى البلاد كرقيق، فتجارة الرقيق كانت رائجة في تلك الأزمان، فحزن وبكى ولطم وشكى ؛ ولكن المصيبة كانت عامة لأهل القرية جميعهم ؛ فأمام مصائب الآخرين تهون مصيبة النفس، وكما يقال إذا عمت خفت ، هدّأ الرجل هذا من نفسه، واشتغل في علاج زوجته " سراجة "، وهذا الرجل اسمه بهرام من أهالي قرية "بيت الصبار" ، وعلى كل حال للملمت القرية جراحها وأوجاعها بعد هذه الكارثة الفظيعة ، فنوى وقصد صاحبنا بهرام بعد أن تشفى سراجة وتتعافى مغادرة تلك القرية ، والذهاب إلى مدينة الجدول لعل الأمان يكون هناك أكثر ، وذلك في ظلال الحاكم ورجال الجيش والشرطة ، فلما خفت جراح الزوجة بحث

عن الأولاد في القرى المجاورة ، وحاول تتبع خطوات المجرمين ، فعلم أنهم أتوا من جهة البحر فغزوا قريتهم وغيرها من القرى ، ثم عادوا لسفينتهم ، فيئس من الوصول إليهم فعاد يقول لزوجته : لهم الله يا سراجة .

فقالت له ودموعها في عينيها : إنها بلوى كبيرة يا أبا أسيد! .. ولكني أبشرك بأن في بطني جنينا ففرح الرجل المصاب بالخبر وقال : عندما يزول الألم عنك نهائيا ، وتضعين مولودك يا سراجة سنترك هذه البلدة ونهاجر إلى مدينة الجدول ونحيا فيها .

فقالت : وماذا ستعمل هناك؟ وأنت لا تحسن إلا الحرث والزرع !

فقال : سأجد عملا يا سراجة .

فقالت : سنبقى هنا في بلدتنا يا بهرام ؛ لعل الأولاد يعودون ثانية ، وسنمضي حياتنا هنا فلا تفكر بالرحيل .

فقال : عندما تضعين ما في بطنك سوف نفكر بالأمر يا سراجة .. سأذهب الآن مع ابن عمي هدام .

كان لبهرام هذا ثلاثة أبناء صغار أسيد دون العاشرة ، ويليه ذؤيب وهو ابن سبع سنوات، والطفل الثالث صقير وهو ابن خمس سنوات ، هكذا كانت أعمارهم عندما دخل جيش الغزاة القرية ، وبدأوا بالفتك والنهب ، ووقع الغلمان الثلاثة ككثير من الغلمان بأيدي المحاربين ، وقد حاولت الأم الدفاع عنهم ؛ ولكن طعنها أحدهم بخنجر ودفعها أرضا ، فصرخت ووقعت فاقدة الوعي على الأرض ، وحمل الرجال الصبية مع بقية الأطفال وساقوهم إلى السفن في عرض البحر ، وقبل إدخالهم السفن وقف زعيم العصابة وحوله رجاله الأشداء وبعضهم يحرس قطيع الأطفال ، فيقدمون إليه الأطفال طفلا طفلا فمن رآه سليما خاليا من العاهات حملوه إلى السفينة ، ومن كان ذا عاهة وعيب قذف في البحر من غير رحمة أو شفقة ؛ لتأكله وحوش البحر ، وكان مشهدا قاسيا مرعبا أمام اولئك الأطفال، لا صراخ ينفع، ولا استعطافا يجدي ، فالزعيم الأسمر الوحش غير مكترث لهم وحياتهم فهو

معتاد على مثل ذلك الفعل القاسي ، وكان من حظ الاخوة الثلاثة أن رفعوا للسفن حتى يباعوا في بلاد أخرى ، وفي إحدى البلاد قام الزعيم الأسمر " درغال " ببيعهم لأحد تجار الرقيق ، ثم عاد وأصحابه إلى البحر للتخطيط لقرصنة أخرى .



فأخذ تاجر الرقيق هؤلاء الجيش من الأطفال الذين يبلغون حوالي مائة طفل ما بين ذكر وأنثى، وساقهم للمدينة لبيعهم للأغنياء والأمراء أو تجار رقيق آخرين، وهذا التاجر الذي يشتري هؤلاء الغلمان من درغال الأسمر عرضهم للبيع في السوق ، فأتاه تاجر يدعى زرفيل واشترى منه خمسين غلاما ، فكان من ضمنهم الاخوة الثلاثة ، وساقهم لمدينة ساحلية يتردد عليها للتجارة ، وقبل الوصول للبلدة باع بعضهم في الطريق وممن بيع صقير ، فترجى أسيد التاجر أن يبيعه واخوته لرجل واحد ، فرفض التاجر وصفعه على وجهه ، فبكى واشتكى وحزن على فراق أخيه ، والذي اشترى صقيرا رجل كهل اشتراه ليربيه مع ابن له صغير؛ ليكون غلاما وخادما لولده ، وهذا الرجل يسمى " صديق "، ويقطن في بلدة جميلة وغنية بالأنهار الصغيرة والأشجار والثمار تسمى "بلاد الأحلام" ، وأما الغلام الثاني ذؤيب فقد بيع في بلاد النيل لرجل يعمل في قصر السلطان ، وأما الغلام الكبير أسيد وصل لمدينة الساحل ، وفي اليوم الذي عرض فيه للبيع كان أمير إحدى البلاد التي وراء البحر كان قد حضر للسوق لشراء الغلمان والرقيق ، فكان أسيد منهم ، ولما قضى الأمير حاجته، وغادر مدينة الساحل أخذه معه إلى بلده التي تقع وراء البحر ، وأدخله قصره الجميل مع باقي الغلمان الذين تملكهم وأمر قيم القصر بالاهتمام بهؤلاء الصغار وتربيتهم على خدمة الأمراء والأميرات .

كانت هذه البلدة تقع ضمن جزيرة كبيرة ممتلئة بالمدن والقرى والأمراء والأميرات ؛ فإذا ظهر

حاكم طامع أو طامح فيضم بعض المدن والولايات لدولته ، أو يتحد مع بعض المدن أو بعض الأجناس لتأسيس مملكة قوية ، فالأمير الذي ابتاع أسيدا كان أميرا مسالما وهادئا ، ولا يحب الحروب كثيرا ، وإنما كان جيشه لحماية البلدة والرعية فحسب ، واسم مدينته مدينة الغرام ، وهي مدينة تجارية نشطة لاتصالها بالبحر ، فالتجار يتنقلون فيها بكل حرية ، وينقلون بضاعتهم بسلام وأمان ، فتجد تجار السفن يتحركون إليها ذهابا وإيابا ليلا ونهارا ، وكذلك تجار البر والقوافل ذهابا وإيابا وبكل حرية ، ويتبع لهذه المدينة أو الأمارة بعض المدن الصغيرة والقرى ، وكثير من قرى الفلاحين يمدون المدينة بالخضر والفواكة الطازجة يوميا ، في هذه المدينة الهادئة عاش أسيد بن بهرام الذي أصبح يسمى "بربار" ، فلما كبر بربار وأصبح ابن خمسة عشر عاما أرسله الأمير إلى مدرسة الفرسان ليتعلم الفروسية ، فكان شكله وهيئته تساعده على ذلك حتى يصبح فيما بعد من فرسان الأمير وحرس الملك الخاص ، فأتقن بربار التدريب والمران وركوب الخيل والضرب بالسيف والرمي بالقوس والقفز على صهوة الجواد وقويت عضلات يديه وفخذيه، واشتد بدنه بصورة عامة ، وتعلم المصارعة والمقاتلة بالأيدي والأرجل والطعن بالخنجر والعوم في الماء ، فأصبح فارسا قويا، وكل ذلك خلال أعوام ثلاثة حتى أمسى الأمير الحاكم يفخر به أمام الأمراء والفرسان والأصدقاء ، فهو فارسه وخادمه وعبده ، وأخلص الفارس بربار لسيده الأمير وفي خدمته ، وظل يحتفظ له بالجميل والمعروف حتى النهاية كما سيرى القارئ ، وكان أطوع له من بنانه؛ ولكنه ما زال يذكر اخوته ويحن إليهم ، ويتذكر أمه وأباه ، والعصابة ومقتل الأولاد الضعفاء ، مشاهد لا تمحى من ذاكراته ، إذن كان الملك جليان سعيدا بالفرسان الذين تبناهم ورباهم ، وكان من أسعد الناس بالفارس بربار، وكان يرى فيه القوة والشجاعة والمستقبل الباهر الغامض .



فجاءت ابنة الملك أو الأمير جليان ذات نهار وطلبت من والدها أن يلحق الفارس "بربار" المخلص في خدمتها ، وبعد كلام وجدال وافق الأمير جليان على طلب ابنته ، ورضي الفارس الصغير بالالتحاق في خدمة الأميرة وحراسة الأميرة "سونيا الصغيرة " كما كانوا يطلقون عليها في القصر ، فأصبح يشاركها في النزهات والزيارات إلى أن أتى يوم وزار قريب لأبيها الأمير جليان ـ وكان هذا الرجل صاحب مملكة مجاورة أيضا ـ وخطبها لولده البكر وولي عهده الأمير نابولي ، وقد وافق الأمير والأميرة على هذا الزواج، وبعدما تم جهاز العروس صنع لها حفلا أميريا ، ثم أتى زوجها الشاب الأمير نابولي إلى مدينة الغرام وتزوجا ، وبعد تزوجها بشهر سمح له الملك جليان بالعودة لمملكة والده ، فاستعد فرسانه المائة والخدم للسفر، وتجهز فرسان الأميرة ، ومنهم الفارس بربار للرحيل معها إلى البلدة الجديدة "مالونيا" ، وريثما تستقر الأميرة في قصر زوجها، وتزول وحشة انتقالها يعود الفرسان لمملكتهم حسب عاداتهم وتقاليدهم ؛ لأن ملك مالونيا سيجعل لها حرسا من حرس بلاده إلا أن الأميرة سونيا الصغيرة أصرت على بقاء الفارس الحزين بربار كما كانت تسميه في خدمتها والبقاء عندها ، فحاول والدها ثنيها عن ذلك ، وأمام إلحاحها وتوسلها وموافقة زوجها على بقائه خادما لها رضخ الأمير جليان لرغبتها فأوصى الفارس عليها وحمايتها وحسن القيام بواجبه نحوها وقال : يعز عليّ فراقك أيها الفارس فلقد تعبت حتى أصنع منك بطلا !

فرد عليه بربار : لن أنساك يا مولاي .. وسأبقى وفيا لعرشك .. فأنت أبي وأهلي، ولن أنسى معروفك ، وما أكرمتني به من الخدمة والتربية في بلاطك وسأحافظ على شخص الأميرة ، وأبقى لها الخادم الأمين .

انتقلت الأميرة وفارسها بربار إلى مملكة مالونيا ، ومضت الأيام هادئة وجميلة ؛ وفجأة مات ملك البلاد وأصبح زوجها " نابولي" ملكا على البلاد والناس، وكان هذا الشاب مغامرا ويحب المغامرات ، وكان يطمع بتوسيع مملكته ، فبدأ يتحرش بجيرانه ويثير العداوات

والأحقاد هنا وهناك ، فما مضى عدة شهور على استلامه الملك حتى كان يخوض معركة دامية مع أمير "سلاطية " ويأسره ، فتنازل له عن مملكته مقابل العفو عنه ، فضم مملكته إليه ونفاه إلى جزيرة في عرض البحر، وقد شارك الفارس بربار في هذه المعركة، وأظهر براعته وقوته ، وقد أعجبته مغامرة نابولي ، وعلى أثر هذا النصر السريع أرسل نابولي رسولا إلى ملك " هيلانة " طالبا منه الانضمام لمملكته وإلا له الويل والهلاك ، فرفض وجرت معركة كبيرة بينهما انتصر فيها أيضا نابولي ، وقضى نابولي وفرسانه ، وبينهم بربار حروبا شرقا وغربا استمرت سنتين حتى أصبح يحكم مملكة كبيرة في تلك الجزيرة، وبدأت الملوك تهابه وتخشى مغامراته وجنونه ، وأي مدينة من المدن التي احتلها وضمها لمملكته وبدرت منها محاولة التمرد والثورة على حكمه فكان يدمرها تدميرا، ويحرقها حرقا مخيفا حتى دب الرعب في الملوك المجاورين ، وأخذوا يتطلفونه بالهدايا وبالحسناوات ، واشتهر بشهرته بربار ، فعرض عليه حكم إحدى المدن فأبى وقال : دعني أبقى في صحبتك أيها الفارس .

الأميرة سونيا التي أضحت ملكة لم تنجب من زوجها حتى ذلك الوقت ، فكانت قلقة من هذه الناحية ، وكانت أيضا غير متحمسة لمغامرات زوجها نابولي ، وقد حاولت في أكثر من مقام ثنيه عن هذه الحروب والعودة للدعة والسلام ، فيزجرها بشدة وشراسة ، وحذرها من التدخل في مثل هذه الأمور ، فخشيت منه على نفسها ، وعادت لالتزام الصمت والسكينة ، وقد حاولت ثني فارسها بربار عن المشاركة في الحروب ، فاعتذر لها بأنه قد تورط فيها ، ولا يستطيع التخلي عن نابولي بعد هذه المغامرات .



كان الأمير المغامر يغيب نتيجة الحرب عن قصره الأيام والشهور في المعارك واحتلال المدن وترتيب أمورها ، فذات مرة همس في أذنه أحد رجاله بأن الأميرة سونيا تخونه في غيابه ، فغضب الملك الشاب ، وانزعج لهذا الأمر، وأسر للفارس برباز بما سمع ، فقال له واعظا : قبل أن تفعل شيئا تأكد من الأمر.. وتأكد من الوشاية أيها الفارس .

فرد الملك مؤكدا : الرجل الذي نقل لي الخبر من الثقات عندي .. وقد أقسم لي على ذلك .. فما العمل ؟!

فقال برباز: أنت ما الذي تنوي فعله إذا تأكدت من ذلك ؟!

فصاح الملك بغضب : وهل يرد العار أيها الفارس إلا الدم سأقتلها مع عشيقها .

فقال برباز: وهل تعرفه ؟!

فقال : نعم .. إنه ابن عم لي .. إنه الأمير " سرياني " .. أرأيت الخيانة؟!

فقال برباز : افعل ما تراه مناسبا أيها الفارس .

فقال نابولي : ولكنك حارسها الخاص يا برباز ؟!

فقال برباز : ولكنها زوجتك ! وقد خانتك .. وإنما أطلب منك أن تتأكد من الأمر حتى لا يكون هناك دسيسة أو مؤامرة ومكيدة لكما .

فقال نابولي : أيها الفارس ستكون صديقا مخلصا لي .. ونحن تعاهدنا على حفظ بعضنا بعضا أيها الفارس سأتركك هنا مع الجيش والفرسان.. وسأعود إلى مالونيا متخفيا ، وذات ليلة سأطلب مقابلة الملكة سونيا على أني رسول من عند الملك نابولي ؛ ولعلي أجد عشيقها عندها فاقتلهما معا .. فاحذر أيها الفارس من الأمراء والجنود ريثما أعود .

اجتمع نابولي بخواص القادة ، وأخبرهم أنه ذاهب لمالونيا خفية لأمر عاجل ومهم وسيعود بعد أيام ، وعاد لمالونيا سرا ، وفي ليلة طلب مقابلة الأميرة سونيا على أنه رسول من عند زوجها الملك نابولي ، فاستقبلته وكانت وحدها مع وصيفاتها ، فكشف لها عن نفسه، وأنه جاء إليها مشتاقا وسرا ليمكث معها ليلة أو ليلتين ، ثم يعود لجيشه الذي يحاصر مدينة ملطة

العليا ، وطلب منها أن لا تخبر أحدا بعودته حتى الخدم ، فاصفر وجه الملكة لهذه المفاجأة ، وبينما هما يتحدثان في مخدع النوم أتت جارية وأخبرتها بوصول الأمير سرياني ابن عم نابولي قائلا: إن معه خبرا من عند الملك نابولي ، قالت الجارية ذلك أمام نابولي ، ولم تعرفه وانصرفت ولم تتكلم سونيا ولكن وجهها تغير وتلون ، فبعد قليل دخل سرياني فكأنه على ضوء الشموع لم يتحقق من صورة ابن عمه فقال باسما : من هذا الغلام يا عزيزتي سونيا .. إنه يجلس بقربك مالك لا تنهضين لمعانقتي كالعادة يا عشيقتي الجميلة؟.. أم عشقت هذا الغلام ؟.. نحن نفكر بالحب والغرام .. ونابولي يفكر بالدم والقتل ..

اقترب منها كثيرا وهو يتعجب من صمتها وعدم احتفالها به ، فحتى الغلام لم يتحرك لتحيته ، فلما أصبحا وجها لوجه فقال : مالي أراك ممتقعة الدم كأنك تخرجين من قبر أيتها الحبيبة ؟!

تكلم نابولي المذهول بصوت أجش وهادئ معا : سونيا .. ما الذي اسمعه من سرياني ؟!

فأغمي عليها فوقعت على الأرض فقال سرياني : من ؟ ابن عمي الملك نابولي !

أخرج نابولي خنجره بسرعة البرق ، وأغمده في صدر السيد سرياني وهو يصيح : نعم ، ابن عم سرياني .. مت أيها الجبان الخائن .

هرعت الجواري على صرخته ؛ فإذا بالملك يقتل الأمير سرياني ، فالتفت إليهن قائلا : اهتممن بالأميرة سونيا . ونادى بعض الجنود ، وأمرهم بإلقاء جثة سرياني في النهر الذي يمر من طرف القصر .

لم يقتل نابولي سونيا تركها حية ، وقفل عائد لجيشه ، وكشف لخواص فرسانه خيانة زوجته مع ابن عمه سرياني ، وأنه اعدمه الحياة بطعنة خنجر ، وألقاه في النهر، وعندما ينتصر في هذه المعركة فسوف يفكر بعقاب الأميرة الزانية، فاقترح عليه الفارس بربار أن يطلقها ويعيدها لوالدها فرد عليه الملك : عندما نعود لمالونيا نفكر بالأمر أيها الصديق فإلى القتال .

بعد حصار شديد وقتال عنيف على أسوار المدينة هرب حاكمها وأكثر جيشه فسقطت المدينة على أثر ذلك، واستسلمت للأمير الملك نابولي ، الذي مكث فيها بضعة أيام فأخذ ما في

خزائن الحاكم من ذهب وأموال وخيول ، ووهبها لقادته وجنوده المحاربين ، ورتب أمرها وولى عليها أحد الفرسان، وعاد لمالونيا بالجند المظفر للاستراحة عدة شهور قبل الدخول في حرب جديدة ، ولما سأل عن زوجته الخائنة ، أخبروه بأنها اختفت وهربت عندما زعمت للحرس بأنها تريد النزهة وما عادت للقصر ، فندم نابولي على تركها حية وعلى عدم الحجر عليها ، فطلب من القادة إجازة بضعة أيام يستريح فيها من هذه البلية ، وأرسل رسالة لوالدها أمير مدينة الغرام يخبره بالعار الذي أصابه من فعلتها الشائنة ، كان الأمير نابولي يعتقد أن سونيا الصغيرة أشرف امرأة عرفها وأوفى امرأة ، فكانت خيانتها قاسية عليه وطال اعتكافه ، فدخل عليه قادة الفرسان وعلى رأسهم بربار فعابوا النساء وصفاتهن وغدرهن ، مما دفعه أن يقسم على أن لا يتزوج امرأة ما دام فيه نبض ينبض حتى يشرب من دم سونيا التي علم أنها لم تهرب لأبيها ، ولما تحسنت حالته النفسية بعد اعتكاف طويل عاد للمغامرات والحروب ، فكثر أعداؤه والحاقدون عليه ، ففي إحدى المرات أثناء حصاره لمدينة " جوا " دخل عليه شاب قصير القامة على أنه رسول من أحد الملوك في تلك الجزيرة الكبرى ، وهو يحمل بين يديه رقا كأنه رسالة ، فدخل خيمة نابولي وتقدم منه وأعطاه الرسالة التي فضها ونظر فيها، وأعطاها للفارس بربار ليقرأها بصوت مسموع أمام القادة والزعماء ، وبينما هم يتابعون القراءة أخرج الرسول خنجرا صغيرا بسرعة ورمى نفسه على نابولي وطعنه به في صدره ، فصرخ الملك، ورمى بربار الكتاب ، وطرح نفسه على الرسول وهو يقول : لا تقتلوه أوثقوه بالحبال حتى نعلم من أرسله علينا ؟!

واحضروا طبيب الملك على الفور ليقوم بعلاجه ، فقام الطبيب بالكشف عن جرح الملك الشاب ، فلم يره جرحا عميقا فعالجه وضمده ، وتم التحقيق مع القاتل الذي اعترف بأن ملك مدينة جوا كلفه بهذه المهمة مقابل العفو عن والده السجين المحكوم عليه بالإعدام ، فوافق على أن يضحي بنفسه للإفراج عن أبيه ومبلغ ضخم من المال ، فاشتد غضب الملك على ملك جوا، وأمر بحبس القاتل حتى يتم أسر ملك جوا ، وأثناء فترة علاج الملك المصاب

استطاع الفارس بربار اقتحام المدينة المحاصرة من جهاتها الأربعة ، ودارت بداخلها معركة دامية رهيبة قتلت فيها النفوس ودمرت الأموال ، وما نجا إلا كل ذي عمر طويل ، وقد قتل الحاكم وحاشيته، مما دفع الفارس بربار أن يأمر بحرقها عن بكرة أبيها خوفا من انتشار الأسقام ، وابتعد الجيش المظفر عنها سريعا ، وفرح الملك نابولي بهذا النصر الجديد ، وأمر بسفك دم الرجل الذي غدر به ، وبينما هم يتهيئون للعودة لمالونيا أو مهاجمة مدينة جديدة لضمها لمملكة نابولي جاءتهم رسالة من ملك أقصى الجزيرة الملك بدوان ، وهذا الملك يحكم سبع مدن كبار عنده فرسان بالآلاف ، وكان هذا الملك بدوره ملك جبار في الأرض، وله شهرة وسمعة في أقصى شمال الجزيرة، وقد أخضع كثيرا من الممالك لحكمه وعرشه وملكه ، ويدينون له بالولاء فإذا طلب منهم المال والفرسان لا يبخلون عليه ، فقد سمع هذا الملك بمغامرات نابولي وبربار وأمراء وفرسان مالونيا ، وهرب كثير من الملوك والأمراء والأثرياء من المدن القريبة من مالونيا ، فأرسل رسالة للملك نابولي يدعوه فيها بالكف عن المغامرات والتوسع في الممالك المجاورة لمملكته والتنازل والتخلي عن المدن التي ضمها لبلاده وإلا هاجمه ودمر عليه مدينته ، قرأ بربار هذه الرسالة على القادة والأمراء ، ثم أمر نابولي بصرف الرسول للتداول والتشاور ثم قال لهم : ما تقولون في هذا الخطاب الخطير؟؟



فكثر اللغط والقيل والقال حتى جاء دور القائد بربار في الكلام فقال : أيها السادة الكبار!.. أيها النبلاء الشجعان! .. نحن اليوم بدأ يحسب حسابنا القاصي والداني في هذه الجزيرة ؛ فإذا رضخنا لهذه التهديد من ذلك الملك القصي عنا طمع بنا غيره من الجبابرة في هذه الأرض ، فأرى أن نكتب له رسالة قوية ، نحذره فيها من خطرنا عليه وغضبنا عليه ، وننصحه بالبقاء

في مملكته .. فالضعف أيها الفرسان لن ينفعنا بعدما كثر أعداؤنا ..حرب تعني أعداء جددا! ..
فرغم الكلام الذي سمعناه من القائد سرب عن ذلك الملك علينا أن نظل أقوياء أو الموت .
فأيد كثير من القادة كلام بربار ، وطلب منه نابولي أن يرد على الملك بنفسه ، ثم يضع عليه ختم الملك ، ففعل بربار ، وكتب لذلك الجبار بدوان بما تم الاتفاق عليه ، ودفعوا الكتاب لذاك الرسول ، ورجعوا لمالونيا محملين بالذهب والفضة والتحف والخيل والبغال والغلمان والحسناوات ، ففي هذه السنوات الأربعة خضع لحكم نابولي أكثر من سبع مدن وتوابعها من القرى والمدن ، وجعل عليها أمراء من فرسانه ورجاله إلا من استسلم وشرط البقاء تحت حكمه أميرا لبلاده ، فكثر جنوده ، وكبرت مملكته في تلك الجزيرة ، وكانت تأتيه الهدايا من الملوك والوزراء، وطار صيته وصيت بربار وكثير من الفرسان بين الأنام في تلك المدن والبلاد
وما كاد يستريح الفرسان في مالونيا حتى استلم الملك رسالة من جليان يطلب فيها الفارس بربار للعودة في خدمته ، فتعجب الملك نابولي وغيره من هذا الطلب العجيب في هذا الوقت ، واعلم بربار بالطلب فقال : معه حق فهو ما زال سيدي ومولاي ! وأنا جئتكم حارسا لمولاتي سونيا الهاربة .. فما العمل أيها الملك الشجاع ؟!
فصاح نابولي غضبا : ارفض طبعا.. أنت الآن أصبحت فارسا وقائدا .. ولا يليق بك العودة لحراسة الأمراء والأميرات بعد أن أصبح لك فرسان يحرسونك .. لقد جن جليان .. أو يريدني أن أغزو مملكته وأقصف عمره !!
فقال : له عليّ معروف كبير أيها الملك .. لقد اشتراني بماله ورباني وعلمني الفروسية.. فالفارس النبيل والشريف لا ينسى ذلك .
فصاح نابولي : ويلك ! لا أستطيع أن أعيش بدونك .. فأنت شريكي في هذه المعارك .. وكما تعلم أنا لا ابن لي يرثني لعلي أجعلك وريثي على هذه الدولة التي تكبر كل يوم .. ادفع له ما يشاء من المال .
فرد بربار وهو غارق في التفكير : سأفكر بأمري يا ملكي فلربما أجد حلا مناسبا .

فقال نابولي ضاحكا وجادا : إذا أصر على عودتك سأدمر مدينة الغرام عن بكرة أبيها .. أنا لولا زواجي من ابنته وعلاقتك القديمة به لألحقت بلدته بمملكتي أيها الفارس منذ زمن .



هلاك نابولي

عاد بربار إلى غرفته في قصر نابولي ، ورمى نفسه على سريره وقبل أن تغمض عينيه من كثرة التفكير سمع صراخا في القصر، فنهض مسرعا فسأل الرجل الذي يقف على باب الغرفة : ما الخطب ؟!

فقال الجندي الحارس : كأن القصر يحترق يا سيدي ! فالدخان من تلك الجهة من جناح الملك

هرع بربار إلى جناح نابولي مسرعا ، فوجد النار تضطرم فيه ، وعلم أن الملك محشور بالداخل فدار من الخلف وتسلق الجدار ، ومشى نحو نافذة غرفة الملك فكسرها فدخل إلى الغرفة ، ووجد الملك يتحشرج من شدة الدخان ، فحمله بسرعة إلى النافذة وتدلى به إلى الجدار وخرج به من جميع القصر بدون أن يشعر به أحد ، فالكل مشغول بنفسه ، وأخذه إلى بيت أحد الفرسان الذين يعملون ضمن قيادته، وهناك قاموا بمعالجته ابتداء ، وذهب الفارس واحضر الطبيب لاكمال العلاج ، وانتشر الخبر في المدينة أن الملك احترق في القصر ، وكثرت الإشاعات في المدينة وقلق الناس ، واجتمع القادة بعدما أمسى القصر أسود ، وأطلع بربار القادة وفرسان الجيش الكبار أن الملك لم يمت في الحريق ، وأعلمهم أن المطلوب معرفة من أضرم النار بالقصر، فقال أحدهم : لقد ألقي القبض على رجل غريب له يد في الموضوع.. وذكر أنه من جماعة الملك بدوان .

فهتف بربار بغضب : هذا فعل بدوان إذن ! .. آه .. فلسوف يرى اللعين ؛ ولكن كيف دبر الأمر؟! قصر كامل يحترق بشخص واحد أين الحرس والجنود ؟

فرد القائد : لقد تم حرق جناح منام نابولي فقط.. ومن ثم امتدت النار لسائر القصر .

نجا الملك من الاختناق والاحتراق بالنار ، واسترد عافيته بعد أيام وشكر بربار على إنقاذه حياته ، وصمم على محاربة الملك بدوان ، فقال بربار : مملكته بعيدة نحتاج شهرا للوصول إليها .. وكم من المهالك بيننا وبينها ؟ فإذا وصلناها نكون منهكين القوى لقمة سائغة له ولفرسانه .. فالأفضل أن يأتينا هو فإذا انتصرنا عليه مهدت لنا الطريق كلها ؛ ولكن كما فعل

بنا نفعل به أيها الملك ..نرسل جماعة من الفرسان الأبطال المتخفين بزي تجار فيحرقون عليه قصره أو بساتينه ثم يعودون ؛ ليعلم بأننا لا نهابه.. وأن باستطاعتنا مجاراته ؛ فلعله يصمت أو يتحرك نحونا فنقاتله ونحن مطمئنون وفي مدننا وبين عساكرنا ، فإذا سحقناه نزحف نحو مملكته ونجعلها عبرة لمن اعتبر من ملوك هذه الدنيا .

وافق الملك نابولي والقادة الآخرون على أفكار الفارس بربار ، واقترح بعضهم على بربار أن ينفذها ، فأبدى بربار استعداده لذلك فصاح نابولي صعقا: ويحكم أنا لا استغني عنه! فالقائد نابام سوف ينـفذ هذه الخطة ، ومعه القائد سربال .. واشرح لهم يا بربار تفاصيل المغامرة .. وأريد أن يكون لنا هناك جواسيس باستمرار يا بربار .



شيد نابولي قصرا جميلا ، وأعاد تنظيم حرس القصر وفرسانه والطهاة والخدم ، وأفرد لمساعده بربار جناحا خاصا أيضا ، كان بربار أثناء انشغاله في الحروب يشتري الفرسان من المدن المهزومة ، فاستطاع في هذه السنوات من تكوين كتيبة خاصة من الفرسان تنسب له ، ويدفع لهم أجورهم ومساكنهم ، فبلغوا مائتين فارس أو أكثر بقليل ، وكان هذا النظام يعمل به الأمراء والقادة ، فكان نابولي يسمح لقادته بتجنيد الفرسان والجنود ، وأثناء المعارك والحروب يدفع لهم رواتبهم وتكاليفهم ، وأيام السلم والهدوء فكل قائد هو مسؤول عن فرسانه ، والملك مسؤول عن جيشه وجنوده ، فكان الفارس بربار يقضـي أكثر وقته بصحبة الملك، وباقي الوقت يمضيه مع فرسانه الذين اشترى لهم ضيعة كبيرة وأمرهم بالحياة فيها والتدرب فيها ، وهذا الفارس كما تعلمون لم يتزوج بعد ، وهو أثناء هذه الأحداث لا يفكر بالزواج ، ولا تشغله النساء ككثير من الجند والفرسان ، فلما وضع الخطة مفصلة لنابام وسربال استأذن الملك بزيارة مدينة الغرام بضعة أيام والاجتماع بالملك جليان ، فأذن له نابولي بعشرة أيام فقط ،

فأخذ فرسانه بعد أن ودع الملك وسار لمدينة الغرام التي وصلها بسلام ، فخرج الملك جليان بنفسه لاستقباله والترحيب به بعد كل هذه الغياب وتعانقا وتصافحا ، ورحب الملك جليان بالفارس والفرسان ، ولما جلسا في قاعة العرش قال جليان للفارس : لقد نسيتنا يا فارس بربار ؟!

رسم الفارس الشاب ابتسامة على وجهه وقال : لا يا مولاي ! لم أنسك ؛ فأنا صنيعتك وفارسك ولكن انشغالنا في الحروب والفنون أخرنا عنكم .. وأنتم تخليتم عنا لهم .

واستمع جليان لأحاديث وأخبار بربار ولما سمعها قال : لقد أصبحت فارسا مشهورا يا بربار وتملك الأموال والفرسان ، بل سمعنا أنك يمين الملك الجبار نابولي .

فقال بربار بتواضع : أنا صنيعتكم يا مولاي ! ولا أنسى معروفك .. فأنا ما زلت فارسك وتحت أمرك .

فقال جليان : حسنا أيها البطل ! فإذا كنت تحفظ المعروف.. فنحن نريدك هنا فارسا لمدينتنا .

لزم الفارس الصمت حتى تكلم الملك جليان ثانية : مالك ؟!

فسأل بربار : مولاي جليان الملك .. ألا تعلم أين ذهبت الملكة سونيا ؟

فقال الملك مستغربا تغيير مجرى الحديث : على ذكر سونيا أيها الفارس هل صحيح ما يدعيه نابولي في حقها ؟

فأجاب الفارس قائلا : كما تعلم أيها الملك فأن الفارس نابولي مغامر ويحب القتال والفروسية حتى أنه جذبني إليها بقوة ، فكان يغيب عن بيته بالشهور والأسابيع ، والأميرة كانت تكره الدماء والحروب فتظل في المدينة ، فكما علمت استغل الأمير سرياني ابن عم الملك الفرصة فغرر بها اللعين فخدعها بالحب والغزل ، وعلم الملك بذلك فتألم وغضب عليها ، وصرع ابن عمه وطرح جثته في النهر ، ولم يقتل الأميرة وعاد للميدان والحرب ، فلما تحقق النصر ، وعدنا للمدينة ، وجدنا الأميرة قد اختفت ، فأرسل لك رسالة يشرح الأمر ونسينا القضية .

فقال جليان : الحق أنني تألمت بما علمت وتحريت عنها شرقا وغربا ، فقيل لي إنها هربت لبلاد

الشرق وقطعت البحر ولم تحاول الاتصال بي .. وأنت ابن مدينتنا فلماذا لم تعد إلينا بعد هربها ؟
فقال بربار: الملك نابولي لا يستطيع التخلي عني ، ووجودي هناك خير لكم من بقائي هنا ، وصدق أن بقائي عنده حماية لكم ولمدينتكم من مغامرات نابولي .

ابتسم جليان ولم يغضب وقال : صدقت أيها الفارس! .. إن نابولي يحسب لك ألف حساب .. ويحب بقاءك بقربه .. ونحن أدركنا هذا الأمر.. وإنما أحببنا أن نراك ونسمع أحاديثك ومغامراتك .. فلولا وجودك مع الملك لتدخل في أمر مدينتنا وخصوصا بعد اتهامه لابنتنا بالخيانة الزوجية .. هذا نعرفه !

فقال بربار : أنا في خدمة عرشكم يا مولاي في أي وقت .. أيها الملك الطيب اعلم أن الملك نابولي أمهلني عشرة أيام فقط للمكث عندكم .. وأنا رجلكم عنده .. ولن يمسكم سوء منه وأنا حي .

فقال جليان : نرحب بك يا فارس مالونيا .. ونحن قد وهبناك حريتك قديما عندما الحقناك بخدمة الأميرة سونيا الصغيرة ، فكنت نعم الحارس ولكن لا أدري لماذا تخليت عنها أمام نابولي ؟! .

تبسم فارسنا الشاب وقال : هي يا مولاي الحقتني بخدمة نابولي ومشاركته في الحروب حتى تعلقت نفسي بالحروب وبنابولي حتى صرنا صديقين حميمين .. وكما قلت لك أيها الملك الطيب أنا خادمكم الأمين في أي وقت .. ولا أنسى معروفكم أبدا .. وأنا درعكم من أطماع الملك نابولي .

وقبل أن تنقضي الأيام العشرة كان رسول الملك نابولي بين يدي الملك جليان والفارس بربار يطلب عودة الفارس بربار لمالونيا ، فالملك مريض وبحاجة للفارس النبيل ، فودع بربار سيده السابق جليان وشكره على حسن الاستقبال والضيافة ، وعاد بفرسانه إلى الملك نابولي الذي رحب به وفرح بمشاهدته ، واعلمه بمرضه الشديد ، فدعا له الفارس بالسلامة والشفاء ، ثم قال نابولي : إن فارسا من بلاد أقصى الجزيرة يدعي أنه صاحب عرش مدينة الملك بدوان

يرغب بمقابلتك .

التقى الفارس بربار بالشاب الفارس" ملاريون" وبعد تعارف بينهما قال الأخير بدوره : أيها الفارس النبيل الذي ملأ صيته هذه الجزيرة شرقا وغربا شمالا وجنوبا .. لقد أصبح الفارس بربار على لسان كل الملوك والفرسان جئت إليك طالبا الانضمام إلى فرسانك الأبطال ، وأما قصتي فسأذكرها لك .. أنا كان والدي ملكا لإحدى المدن التي يحكمها الملك بدوان ، وبعد قتال شديد قتل والدي دفاعا عن مملكته وبلدته ، وكذلك أكثر الأهل والأقارب لقوا حتفهم وفر الباقي إلى المدن والقرى واختفوا عن الأنظار ، وكان لنا خادم أمين أخذني وأمي وأختي الصغيرة إلى قرية بعيدة ، وكان لي من العمر ثلاث سنوات فقط أيام تلك الأحداث الجسام ، وقام الرجل الصالح بتربيتي وتعليمي الفروسية لأخذ الثار من الملك بدوان ، وقد علمت هذه الحقيقة منذ عهد قريب ، وأنا لا حيلة لي باسترداد ملكي المضاع والمغتصب بعد كل هذه السنين ، ففررت إليكم ملتحقا بجندكم بالفارس العظيم بربار فارس الجزيرة الجديد ، وسأضع نفسي وسيفي بين يديك .. وأنا خادم لك أيها الأمير مدى الحياة ، وسوف ترى صدقي وحبي وإعجابي لكم ، وليس لي حاجة من الدنيا إلا أن أثأر لنفسي ولأهلي من الظالم بدوان ولا أريد مملكة أبي .. فهي هبة مني إليكم فقط أريد الثأر .

ارتاح بربار لشخص ملاريون ، ورحب به جنديا معه ، ووعده خيرا وضمه لفرسانه المائتين لاختباره وامتحان فروسيته ، وجاءت الأخبار بعد حين تفيد أن القائدين سربال ونابام تمكنا من حرق قصر الملك بدوان وحرق بساتينه ؛ ولكنهما سقطا أسرى في قبضة ذلك الملك الجبار وأعدمهم الحياة ، وأتت الأخبار تفيد كذلك أن الملك يعد جيشا لتدمير مملكة مالونيا الكبرى والفتك بالملك نابولي وقادته جميعهم ، فغضب الملك نابولي من هذه التهديدات وتمنى من الله

الشفاء لملاقاة الملك بدوان ، فقام بربار بتهدئة غضبه ووعده بالانتقام والثأر لمقتل القائدين البطلين ، وقال : أيها الملك لا بأس عليك! فلقد طلبت من القادة الاستعداد، وأخبرتهم أن انتصارنا على الملك بدوان سيكون أعظم نصر ، وسيدعم ملكنا والمدن التي امتلكناها ، وبعد ذلك النصر ستصبح الجزيرة لنا نرتع فيها ونمرح ولا أحد يستطيع معارضتنا ، وتصبح مملكتنا أكبر الممالك وتخضع الجزيرة كلها لحكمنا العظيم .. وأرسلت الفارس ملاريون لجعل عيونا لنا في المدن والممالك التي تفصلنا عن مملكة أقصى الجزيرة لتصل إلينا أخبار بدوان وتحركاته بأسرع وقت ، وعندما نلتقي أيها الملك العظيم سيرى منا العجب العجاب ، وأرسلت بلاغا حازما لكل المدن التي تخضع لسيطرتنا بأن أي مدينة تتردد في الدفاع معنا والوقوف بجانبنا وتخوننا سنمسحها عن وجه الأرض .. وعليهم بالاستعداد لهذه المعركة الكبيرة وإرسال المعونات والفرسان والحذر من الغدر والخيانة.



استطاع الأمير ملاريون نقل أخبار تحركات جيش مدينة أقصى الجزيرة إلى القائد بربار أولا بأول ، وخلال شهور من الزحف البطيء وصلت جيوش الملك بدوان إلى أطراف مملكة مالونيا ، وكان الفارس بربار وخمسون ألفا من الفرسان والعساكر على أهبة الاستعداد ، وانتظاره بالقرب من مدينة ملطه ، وما كاد يحط الرحال حتى كانت جيوش وفرسان مالونيا تصطدم بجيشه ، وهم على أتم راحة واستعداد ، ودارت معركة دامية ذهبت فيها نفوس كثيرة ، وتحطمت كتائب وسرايا ، وصدم بدوان ووزراؤه لهول المعركة والكارثة والمفاجأة ، وذهب الغرور من نفوسهم ورجعوا للوراء عدة مراحل حتى التقطوا أنفاسهم وللموا فلول

جيوشهم ، وعادوا لساحة المعركة ، فنزل بدوان للميدان وطلب منازلة الفرسان فسقط إليه بربار بسرعة الجآن ، وتعاركا أمام الفرسان ساعة من الزمان ، ثم فر بدوان من ضربات سيف الفارس بربار ، فنزل إليه الوزير الأكبر فأراده قتيلا في دقائق من الزمان ، فأتاه آخر فخر ميتا من طعنة واحدة ، فطلب البراز فارس الجزيرة زهدان فارس الجزيرة الأوحد رجل الشدائد والأهوال فارس الملك بدوان ، ودار بينهما الصراع حتى ولى النهار وأقبل الليل فانصرفا للخيام لثاني الأيام ، وقد استمرت المبارزات عدة أيام حتى التقطت الجنود أنفاسها ، ودفنت قتلاها ، ووضعت الخطط والحيل ، فنشبت معركة تشيب لها الرؤوس كان من نتيجتها ضعف جنود الملك بدوان ، فأرسل إليه بربار الأمير ملاريون يعرض عليه الصلح والاستسلام ودفع تكاليف الحرب والقتال وإلا الموت والدمار ، فلما سمع الملك هذا الكلام صار الضياء في عينيه ظلام وطار من عينيه الشرر كالنار ، وما عاد يحسن التفكير ورد ملاريون بكتاب تهديد ووعيد وشواء الفارس بربار ، وكان الأمير بربار قد رتب مع بعض فرسان الملك بدوان سرا مؤامرة للتخلص منه ووعدهم بالمال والملك ، وعرف بدوان بسر هذه اللعبة ، ففقد صوابه وجن جنونه وقتل كثيرا من الفرسان ، وتعجب من قدرة بربار على خداع فرسانه ، وكان ذلك قد تم بمساعدة الأمير ملاريون وأمراء مدينته الذين انضموا لبدوان عندما انتصر على والده وأسرته ، فلما انكشفت الخطة هجم بربار بفرسانه على جيش بدوان هجوما قويا من ثلاث جهات ودارت بينهم معركة أخرى ، وكانت رهيبة هرب على أثرها فرسان بدوان نحو بلادهم ، واستسلم كثير منهم ، ووقع بدوان على أثرها أسيرا في قبضة الفارس بربار ، وانهزم جيشه شر انهزام ، وانتشر خبر النصر العظيم في معارك ملطه في الجزيرة سريعا ، وارتفع اسم الفارس بربار إلى عنان السماء ، وانقلبت الموازين في كل مدن الجزيرة الكبرى كلها ، وعادت جيوش مالونيا إلى المدينة مكللة بالنصر والرايات العالية وعمت الأفراح في مدينة مالونيا ، وازداد خوف الملوك الذين لم تخضع مدنهم بعد لمملكة مالونيا خوفا على ممالكهم ، وبدءوا يرسلون رسل التهنئة للملك نابولي على هذا النصر الكبير ، ولقد خرج الملك نابولي المريض

محمولا على تخت بالذهب والجواهر يستقبل الجيش العائد بهذا النصر ، وبقائده الكبير بربار الذي جرى على يديه هذا النصر العظيم ، ودخل القادة بأكاليل الغار والورود والهدايا ، وبعد الراحة والاستراحة تم توزيع الأموال والمكاسب على الجنود والقواد وأسر القتلى ، وترك بربار خبرا لدى القادة بأنهم سوف يزحفون لأقصى الجزيرة لاستلام حكمها وكنوزها وتسليمها لملوكها القدامى ، وعرض عليهم الاستعداد لتملك تلك المدن ومن رغب في ملك بلدة فليذكر ذلك حتى يولى عليها ، وخلال فترة الانتظار للزحف ومطاردة فلول الجيش المنهزم وتقسيم مملكة بدوان أعلنت كثير من المدن ولائها لمملكة مالونيا الكبرى ، وأغرب شيء علمه الملك المريض نابولي الذي قد هزل بدنه والأمير الفارس بربار بأن سبب هذه الحرب مع بدوان لم يكن سوى الأطماع هو الأميرة سونيا زوجته الخائنة وابن عمه سرياني الذي لم يمت من ضربة الخنجر ، لقد علموا من الملك الأسير بدوان أن الأميرة الملكة الهاربة هبطت لبلادهم مع فارس لها اسمه سرياني ـ وقد كان مريضا وقد تعافى ـ فحرضته على حرب مالونيا ونهب خيراتها وأغرته بفتحها وغزوها ، وقد وجد لها في نفسه هوى ووقع في غرامها ، أمر الملك المريض نابولي بحبس الملك بدوان وقادته الذين نجوا من الموت ووزرائه حتى يعود الأمير الفارس بربار من السيطرة الكاملة على مملكة بدوان في أقصى الجزيرة ، وودع الأمير بربار الملك ، وتحرك بعشرة آلاف فارس إلى أقصى الجزيرة ، وكان الملوك في الطريق يرحبون به ، ويستقبلونه استقبال البطل الغريب والفارس المخيف ، ويقرون بالخضوع لمملكة مالونيا بدفع الجزية المفروضة عليهم طوعا ، ورضا بحكم الملك نابولي ، وبعد شهرين من الوقت وصل بربار لتلك البلاد واستلم خزائنها وخيراتها ، وبحث عن سونيا وسرياني فعلم أنهما هربا بعد هزيمة بدوان الكبيرة ، وأعاد الأمير بربار ملوك المدن الكبرى لحكم بلادهم مقابل الطاعة للملك نابولي ، فأعاد تجزئة مملكة أقصى الجزيرة ، وبعض المدن نصب عليها ملوكا من قادة نابولي ، فعاد ملوك تلك المدن أو ورثتهم لعروشهم وحثهم على الخضوع لحكم مملكة مالونيا ، وحذرهم من الغدر والخيانة ، وأمرهم بإرسال الأموال اللازمة لجند مملكة مالونيا في الوقت

المعلوم ، وأن يرسلوا الجند في أي وقت تحتاجهم مملكة مالونيا بكل سرعة ، وبين لهم خطر التمرد على الملك نابولي ، وعرض الأمير برбار على الأمير ملاريون حكم مملكة أبيه فرفض وقال : إنني وهبتها لك .. وأرغب بالبقاء بصحبتك وركابك أيها الفارس النبيل .



قضى الأمير برбار ستة أشهر يرتب أمور هذه الممالك ، وعاد بمن رغب من القادة والفرسان إلى مالونيا المدينة التي ازدهرت مع هذه المعارك ، وأصبحت عاصمة كبرى لمملكة نابولي ؛ ولما وصل القائد الكبير برбار كان الملك نابولي في أواخر أيامه ، فقد أنهكه المرض الذي دب في جسده ، وقد فرح كثيرا برؤية الفارس برбار وعودته ظافرا قبل رحيله ، فاعلمه أنه قد جعله وريثه الشرعي على هذه المملكة العظيمة ؛ لدوره الكبير في توسعها ، وفي الحروب التي خاضها ، وفي الدفاع عن شخص نابولي ، والإخلاص له ، وليحافظ على ذلك الملك الواسع ، فاحتضنه برбار وبكى بين يديه بكاء كثيرا ، وحزن الناس على موت نابولي ، واستمر الحزن خمسين يوما ، وقدم المعزون من كل صوب وحدب للتعزية والمباركة للملك الجديد وريث نابولي المحارب الكبير ، وبعدما انتهت أيام الحداد على مؤسس هذه الدولة العظمى أعلنت الأفراح بتتويج الملك برбار.. فأصبح ينادى برбار العظيم ملك ممالك الجزيرة الكبرى ، وبدأت الوفود تأتي من جديد للتهنئة والمبايعة من كل الممالك الخاضعة والصديقة ، فيقدمون فروض الطاعة والولاء للملك العظيم برбار، وكان من ضمن الوافدين للتبريك والتهنئة الملك جليان ملك مدينة الغرام ، وكم كان اللقاء بين الرجلين جميلا وغريبا ومشحونا بالإعجاب ، وطال العناق بين الرجلين وضحك جليان وهو يقول : آه !.. يا برбار العظيم ! لقد دخلت الجزيرة غلاما رقيقا لا حول لك ولا قوة .. وها أنت قد أصبحت السيد المطلق الفارس الذي تنحي له هامات الملوك هيبة ووجلا .. وما بلغت من العمر ثلاثين سنة .. والله

إنها لأعجوبة وإنها لدنيا غريبة .

وضحك الفارس بربار من صميم الفؤاد وقال : صدقت أيها الوالد الطيب! وهذا كله بفضل منك ، ومَنٍ من الله الأكبر .. وأنا مستعد أن أتنازل عن هذا الملك العظيم وهذا العرش الكبير لك يا مولاي .

فعاد جليان للضحك وقال : لا أستطيع حكم هذه الممالك الكثيرة .. وأداهن وأحارب أعداء هذا الملك الكبير .. فأنا رجل شيخ على وشك الرحيل ..فهنيئا لك أيها الفارس .. وهذا فخر لي أن أراك باسلا وسيدا كبيرا ؛ ولكن عليك بالعدل .. وحذار من الظلم والعدوان ..



الملك بربار

دخل القائد الأمير ملاريون على الملك الفارس بربار وذكر له أن أختا له حسناء جميلة سليلة الملوك من قومه ترغب بالزواج منه إذا كان لديه رغبة بالنساء ، فاعتذر بربار قائلا : شكرا لك يا صديقي .. أرغب بالزواج ، ولكني أحلم بأميرة شرقية من أميرات الشرق.. فأنا أتيت لهذه الجزيرة من الشرق ، وذكر له مختصر قصته ، فتعجب ملاريون من قصته ومن قدرة الخالق المدبر ؛ وذكر بربار له اسم أحد القادة الفارس جرار فهو فارس جدير بها .

فابتسم ملاريون قائلا : سوف أعرض عليه هذا الاختيار ؛ لأنها هي التي ذكرت لي بأنها راغبة في شخصكم العظيم .

فقال بربار: اشكرها على هذه الرغبة نحوي وهي سليلة الملوك والسادة .. واذكر لها عذري .. وسوف نتهيأ لغزو الشرق للاستيلاء على كنوزه وخيراته ؛ فإذا أحببت مرافقتنا فجهز نفسك وفرسانك .

استقر الوضع في الجزيرة الكبرى، وخضعت الملوك والأمراء لمملكة مالونيا، وزاد فرسان بربار إلى خمسة آلاف فارس ، يخضعون لمائة من كبار فرسان بربار، وكان بربار الملك لما رأى هذا الملك العظيم بين يديه من فرسان وجنود وأموال بدأ يفكر بالبحث عن اخوته في الشرق فيما وراء البحر ، وقد زاد الحنين للأهل في قلبه وصدره ، ولقد كان يعمل بين يديه كثير من العلماء والحكماء والمفكرين، وكان قد أنشأ لهم مجلسا خاصا يستمع لآرائهم وأفكارهم واقتراحاتهم في تدبير شؤون هذه المملكة ، وكان يكرمهم ويكثر من التودد إليهم والالتقاء بهم ومجالستهم ومناقشتهم ، وذكر لهم رغبته في غزو الشرق لتكوين إمبراطورية يتحدث عنها التاريخ والأجيال القادمة ، وأثناء الاستعداد لهذا الغزو أتاه استعطاف من الملك بدوان فأخرجه من السجن ونفاه إلى جزيرة في وسط البحر الكبير ، ونبهه من عاقبة الغدر والخيانة، وعليه الرضا والقناعة بما حصل معه وله ، ثم انتشر خبر في تلك الجزيرة برغبة الملك العظيم بربار بغزو الشرق والوصول للهند والسند والصين، وبدأ أعوان وأنصار بربار ينقلون إليه

أخبار وتعليقات الناس على هذه الحملة، وأتته رسالة من الملكة سونيا تذكره بنفسها وخدمته لها ورغبتها في لقائه، فرحب بذلك فحضرت واستقبلها الملك بربار ، فهنأته بالملك والعز والجاه ، ودار بينهما حديث عن أيام مدينة الغرام وعن أيام مجيئها لمالونيا ، وختمت حديث الذكريات بأن عرضت نفسها عليه زوجة ، فضحك من عرضها وقال باسما : أين سرياني أيتها الأميرة .. لقد علمت أنه كان معك في مدينة الملك بدوان ؟

ضحكت مجارية للملك ، وغيظ يملأ صدرها لغمز بربار بعشقها وقالت : لقد تركني وهرب لما انهزم الملك بدوان أيها الفارس .. عفوا أيها الملك العظيم .

فلم يعر همز سونيا اهتماما بل قال : أميرة سونيا .. لقد علمت أن الملك نابولي قتل سرياني ما الذي حدث بعد ذلك وكيف نجا؟

فقالت باسمة : فعلا هذا ما ظنه نابولي الغاضب ، طعنه بالخنجر في صدره ، وأنا قد أغمي عليّ ، وخرج ينادي على الجنود ليقذفوه في النهر ، فاستيقظ سرياني وقال لي ـ وأنا قد عاد لي الوعي في تلك اللحظات ـ " أنا لم أمت يا سونيا .. أنقذيني " فلما حضر الجنود أمرتهم بنقله إلى كوخ في آخر القصر ففعلوا ، وقد كافأتهم بخاتمي الماسي ، وهربت به إلى مدينة قريبة وشفي بعد حين ، ثم سرنا إلى الملك بدوان وحرضناه على قتال الملك نابولي .. وحصل بعد ذلك ما تعرفه أيها الملك العظيم .

فقال بربار : وأين هو الآن ؟

ابتسمت وهزت كتفيها قائلة : لا أدري .. أيها الملك .. ألا ترغب بي زوجة ؟

فقال الملك : ولكني أعرفك جيدا أيتها الأميرة .. فلنبق أصدقاء خيرا لنا ، ولا تنسي أنني ورثت العرش من زوجك البطل نابولي .. فالأفضل أن تبحثي عن عشيقك سرياني وتتزوجيه وتعودين لمدينة الغرام عند والدك جليان.

فقهقهت ساخرة من تعليمات بربار وقالت : ويلك إنك تتكلم كالملوك العظام يا بربار كأنك نسيت من كنت !

فقال هازئا من غمزها: ألست ملكا عظيما أيتها الأميرة ؟! هل أحد حكم الجزيرة الكبرى قبلي غير نابولي الملك ؟! انصرفي وابحثي عن سرياني فقد عفوت عنه ـ رغم أنني لا أحب الخيانة بكل صورها ـ واسكنا مدينة الغرام .. فأنا ذاهب لغزو الشرق قريبا بإذن الله .



أمر بربار بتجهيز مراكب لتحمل مائة ألف فارس إلى بلاد الشرق ، وطلب من ملوك الجزيرة الدعوة لهذه الحملة وإرسال من يرغب للمشاركة في هذه الحملة إلى مالونيا للالتحاق بجيش الإمبراطورية ، وتقرر أن يكون الأمير الفارس ملاريون نائبا للملك بربار أثناء هذه الحملة الضخمة ، ومعه مجموعة من القادة المعروفين للناس ، وبعد تمنع رضخ ملاريون لرغبة الملك في البقاء نائبا له ، وقيادة تلك الأمم أثناء غيابه ، وقبل السفر بأيام تزوج الملك بربار من أخت الأمير ملاريون سياسة ، ومكث عندها بضعة أيام ، وأوصاهما على حسن إدارة المملكة الكبيرة ، وكانت الملكة راغبة بالسفر معه فتأسف لها عن ذلك وحذرها من الغدر والخيانة ، وقص عليها قصة الملكة سونيا وعشيقها سرياني محذرا لها من الزنا والعشق ، ولما اكتمل الجيش والمراكب والخيل والفرسان سارت بهم السفن في عرض البحر نحو الشرق ، وبعد شهر كانوا قد وصلوا شواطئ مصر بلاد النيل ، فكتب الملك بربار رسالة لملوكها وسلاطينها ، جاء فيها بعد التحية والسلام والإكرام " أيها الملوك العظام نحن لا نريد غزو بلادكم فلتطمئن قلوبكم ، إنما نحن راغبون بالمرور نحو الشرق إلى بلاد الهند والسند والصين ، فنرجوكم تيسير ذلك لنا ، وإن أبيتم ذلك فالقتال يفصل بيننا ، ورسولنا سيوضح لكم الأمر مفصلا " وختمت الرسالة بختم الملك ملك جزيرة البحر الكبرى الملك العظيم بربار .

استمع كبير ملوك مصر وبلاد النيل والسودان والأحباش في ذلك الزمان لوفد الملك بربار ،

وتليت على مسامعه الرسالة الملكية، وكان بعض أخبار الملك بربار قد وصلت لتلك البلاد بواسطة التجار والبحارة ، فطلب السلطان الأكبر منهم مهلة للتشاور ، ورحب بالوفد وأرسلهم لدور الضيافة ثلاثة أيام ، واجتمع السلطان المصري بقادته ومعاونيه ووزرائه ، وكان على رأسهم شاب دون الثلاثين من العمر قائد وفارس ووزير في نفس الحين يسمى " بالذئب برهان "، واستمع السلطان لهم جميعهم حتى أتى دور الذئب برهان فقال : أيها السلطان هذا بطل مغوار وفارس كرار ، وكما سمعت عنه فأنه قد خاض حروبا كبارا ، وتسلطن على الجزيرة البحرية بقوة الرمح والسنان ، ونحن حقا نملك فرسانا وأبطالا لا يهابون الموت ولا يرغبون بالحياة ؛ ولكن الكثرة قد تغلب الشجاعة ، وبما أنهم لا يرغبون في حربنا وإنما يقصدون العبور لفلسطين متجهين للشرق ، فإذا كان هذا قصدهم فهذا خير لنا ، وكذلك تجنيب البلاد والناس من أهوال الحرب والدمار ، فلنلتقي بملكهم ونسمع منه على الرحب والسعة .

وبعد أن استمع السلطان لجميع الآراء أعجبه قول الذئب برهان ومن قال مثله ، فاستدعى الوفد وتحدث معهم الذئب برهان قائلا : أيها السادة نرحب بكم في بلادنا ، ولسوف نسمح لكم بالمرور نحو الشام وتلك الديار مع الضيافة إذا حضر ملككم للاجتماع بمولانا السلطان زدياب والاتفاق معه على مدة العبور والمكث في البلاد وعدم الاعتداء على أموال الناس فهذا هو الشرط والجواب .

ورافق الوفد جماعة من سادة البلاد بينهم الذئب برهان لمقابلة الملك بربار ويدعونه للقاء السلطان زدياب ، وكان بربار ما زال على شواطئ مصر ينتظر الجواب ، استمع بربار لأقوال الوفد ، واستعد لاستقبال الوفد المصري على متن أكبر سفينة في المراكب التي أتى بها من بلاده وصعد الذئب برهان وبرفقته الوفد إلى السفينة واستقبلهم الملك ، ولما نظر الفارس للذئب برهان خفق قلبه كثيرا ، ولما صافحه زاد الخفقان وهمس قائلا لنفسه : كأنه أخي ذؤيب ما تغير شكله كثيرا؛ ولكنه بشارب ولحية ، وما زال نحيف العظام واللحم ما اسمه يا ترى ؟!

ولما سمع المترجم يقول : رئيس وفد السلطان الفارس الوزير الذئب برهان .

قفز الملك عن سريره وتملل وهمس مخاطبا نفسه : ذئب .. ذؤيب .. آه أكاد أن أقول أخي ذؤيب .. لعله هو بل كيف سأتحدث بلغته ؟!.. صبرا أيها الفارس صبرا .

أصغى الملك لعرض سلطان مصر وقال لهم : أنتم في ضيافتنا .. ودعوني أفكر بلقاء ملككم زدياب.

بعدما فكر بربار وشاور القادة وافق على زيارة سلطان مصر ، فأذن الوزير الذئب برهان بنزول الجيوش على بر مصر والمسير نحو الشام ، وأوصى الملك بربار بعدم العبث بأملاك الناس وأغنامهم ونسائهم ، وتركوا السفن وبحارتها وحرسا عليها ، ومكثوا في ربوعها ثلاثة أشهر حتى وصلوا أطراف فلسطين ، وازداد بربار تعلقا بالفارس الذئب برهان ، وأحب أن يعرف منه عادات وطباع أهل النيل ، وعرض عليه صحبته للشرق ، وافق الذئب برهان على هذه المشاركة إذا وافق ولم يمانع الملك السلطان زدياب ، وكان الملك قد أحب أهل هذه البلدة ولا سيما السلطان وكثير من الأمراء ، وطلب من الملك زدياب عدة آلاف من الفرسان للمشاركة في الحرب معه ، فوافق السلطان وأذن لوزيره الصغير بمرافقة الحملة طمعا بالأموال والجواهر والتوابل من بلاد الشرق الساحر، ولما اكتمل تقدم جنود بربار نحو فلسطين تحرك بمن بقي معه ، ورافقهم السلطان المصري إلى أطراف المدينة ، وودعهم وأوصى الملك بربار على وزيره وجنوده المصريين ، ولما دخل بربار الشام استطاع بواسطة المصريين الاتصال بأمراء الشام حكام تلك البلاد ليخبروهم برغبة الجنود الغزاة العبور من بلادهم نحو الهند والسند ، ولا يريدون غزوهم ونهب خيرات بلادهم ، فوافق أمراء المدن واستقبلوا الجيوش بالترحاب والسلام حتى وصل الملك بربار عاصمة الشام دمشق ، فرحب به أميرها وأحسن وفادته ، واستمر السير حتى نزل الملك بربار مدينة الأحلام ، فبربار ما زال يذكر أن أخاه صقير قد بيع في هذه المدينة ، وما زال رسم ذاك الرجل الذي اشتراه في مخيلته إنه أحد التجار ، خرج أعيان البلد للترحيب بهذا القادم المغامر الذي أقبل من الجزيرة الكبرى ليغزو الهند والسند والصين .

بعد الترحيب والاستقبال الحسن للملك بربار وأمرائه ، دخل الملك وحاشيته وحكماؤه المدينة في ضيافة أميرها ، ونزل الجنود على أطرافها وقد صدرت إليهم الأوامر بعدم الاعتداء على أموال الرعية والناس ، وعليهم التزام السكينة والراحة وعدم التحرش بالخلق ، وطلب الملك بربار من صاحب هذه المدينة أن يجمع له كل تجار البلد ليراهم ، مدعيا أنه قد التقى ذات يوم بتاجر من أهل هذه المدينة لا يذكر اسمه ويرغب أن يراه ، فاستجاب الأمير لرغبة الملك بربار وجمع له أغلب تجار البلده ليراهم ويتعرف على التاجر الذي يبحث عنه ، وله معه ذكريات ، ويريد أن يكافئه لمعروف صنعه له قديما من أيام الصبا .. حضر التجار وكبيرهم للسلام على الملك الضيف ، فقام بمصافحتهم كلهم ، ولما انتهى من رؤياهم قال لكبيرهم : هل بقي أحد لم أره فإن صاحبي ليس بينكم .. لا أذكر اسمه غاب عن قلبي ؟

فقال كبير التجار : أيها الملك العظيم ! لم يتخلف أحد فقد حضر الكبير والصغير .. صف لي صاحبك لعلي أعرفه !

ذكر بربار صفة للرجل الذي يتخيله منذ أكثر من عشرين سنة ، فقال كبير التجار : لا أدري من هو صاحب هذه الصورة ؟! .. كم سنة مضت على هذه الصورة ؟!

ضحك بربار وقال : كان عمري يومذاك عشر سنوات عندما دخلت هذه المدينة .. أكثر من عشرين أيها التاجر .. لعله قد هلك .

تبسم التاجر وقال : أجل .. هذا عمر يا مولاي !

تحرج بربار أن يذكر قصة طفولته لهؤلاء الناس بأنه كان غلاما رقيقا مخطوفا ، وأن أخا له بيع هنا ، وكان يسمى صقيرا ، فعاد يقول للتاجر : أريد أن أرى تاجرا منذ عشرين سنة يعمل في هذه المدينة لأساله عن صاحبي؟

وأمر الملك بالهدايا السخية للتجار وكبيرهم ، فسر هؤلاء القوم بعطايا الملك بربار وكرمه ، ثم عاد كبير التجار برجل كبير في السن ترك التجارة قديما ، وسأله بربار عن صقير فأنكر الرجل معرفته لهذا الاسم في هذه البلدة ، واجتهد بربار للوصول إلى أخيه صقير ، فوجد

الأمر محالا وصعبا ، حتى أن الأمر أثار حكماء وعلماء الملك فسألوه عن الأمر وعما يبحث ، فذكر لهم أن له حاجة في هذه المدينة ولم يسهب في تفصيلها ، وقبل مغادرة المدينة الهادئة مرض الملك بربار، واشتد عليه السقم فخاف القادة والعسكر من هلاكه ، وقد جاءت الأخبار من الجزيرة الكبرى بالثورات على نائب الملك ملاريون ، فانزعج الناس والجيش وقام أطباء الملك بمعالجته فلم يتحقق له الشفاء على أيديهم ، فدخل أمير مدينة الأحلام على الملك بربار عندما رأى عجز أطبائه بدوائه ، وذكر له أن عندهم قاضيا طبيبا ماهرا إذا أحب الملك رؤيته لمعالجته ، فأذن بربار للقاضي الطبيب بالدخول عليه، فحضر شاب صغير ، وهو قاضي الأمير وطبيب أهل المدينة ، فقد تعلم بعض فنون الطب واشتهر بين الناس بذلك ، فدخل الطبيب على الملك المريض ، وتحدث معه ، وجس نبضه ، وكشف عن صدره ، وقام بوصف دواء له غير معروف عند أطباء الملك والجند ، وقدر الله الشافي له العافية على يد الطبيب القاضي ، وتماثل الملك للشفاء بعد حين ، فدب الفرح في الجند والعساكر والأمراء والقادة ، وأثنوا على براعة الطبيب كثيرا .



ولما عادت الحياة والعافية للملك بربار، وتحسنت صحته أخبره وزيره الأكبر بأخبار المملكة فتنهد بربار وقال : لابد من غزو الهند والسند قبل العودة لتأديب المارقين فغدا ليتقدم الجيش. وكتب رسالة مطولة للأمير ملاريون ، وشرح له فيها أحواله ، ووضع له خطوات محاربة التمرد وعدم الاشتباك الحاسم معهم حتى يعود من الهند ، وكتب رسالة رقيقة لزوجته سنديانة ، وذكر لها فيها أخبار سفره ومرضه ، وقبل الرحيل طلب الملك بربار من أمير مدينة الأحلام أن يهبه الطبيب القاضي " ذهب النهار " ليرافقه في الحملة ليتعلم منه أطباء بلاده ، وبعد جدل ونقاش مع الأمير والقاضي وأمام ضغط بربار الملك وحاجته لطبيب بارع رضخ

ذهب النهار لمرافقة الحملة وعندما يعودون يعود لمدينته ، وكان الملك بربار قد كافأه بأموال كثيرة ، فأثنى بربار على أمير المدينة ، وأعطاه الكثير من الأموال مقابل هذه الضيافة الطويلة والصبر على آذاهم وإزعاجهم أكثر من شهر ، ثم سافر الملك وحاشيته ولحقوا بالجيش ، استمر زحف جيش بربار من بلد إلى آخر ومن مدينة إلى أخرى حتى دخلوا ممالك الهند والسند دون معارك كبيرة ، فكتب الملك بربار رسالة لملك الهند الأكبر يطلب منه الخضوع لحكمه وملكه حفاظا على حياة شعبه ودوام ملكه على ممالك الهند التابعة له ، وبلاد الهند كانت لعدد كبير من الملوك ، وكان الملك طرخان أكبر ملوك الهند ، وكان ملكا جبارا وفارسا مغوارا ، فجاءت الرسالة إليه، فلما تسلمها غضب وسخر من هذا الغازي ، واتصل بأصدقائه من ملوك تلك البلاد واتفقوا على محاربة ملك الجزيرة الكبرى ، ومنعه من اجتياز بلاد الهند إلى السند والصين ، فرد الملك طرخان على الملك بربار باستهتار واحتقار وطلب منه العودة لبلاده بدون تأخير ، وأن يدع ما يحمل من الأموال والجواهر غنيمة لابطال الهند ، اجتمع الملك بربار بقادة جيشه واستمع لأقوالهم، ثم جمع مستشاريه وعلماءه وقضاته وفرسانه الكبار فكلهم وافقوه على الحرب والقتال وتدمير هذه البلاد وكسب خيراتها وكنوزها وترك غزو بلاد الصين البعيدة ، ثم العودة للبلاد لإخماد الثورات والعصيان ، فوافق بربار على ذلك وكتب رسالة شديدة الوقع للملك طرخان ويحقره فيها ، ويتوعده ، ويطلب منه أن يجهز له ابنته ريهان للزواج دون إمهال ، وكان بربار يجري المراسلات بينه وبين طرخان ليستريح العساكر من تعب الرحيل ، ويستعد القادة لمعرفة البلاد ويضعوا الخطط المطلوبة ، والتقت جيوش الشمال مع جيوش الهنود وجرت معارك عنيفة ومخيفة ، واستمرت شهور ضعف على أثرها صبر جيش طرخان، وعاد أنصاره لمدنهم يتحصنون بها ، وعاد طرخان لعاصمة ملكه هو الآخر يتحصن بها وأغلقت أبوابها ، فضرب الملك بربار عليها الحصار وبدأ يرسل القادة والجنود إلى مدن أخرى فقاتلوها أشد القتال ، حتى استسلمت له الكثير من الممالك والاقيال وخضعوا لسلطانه وجبروته ، ثم ضاق أهل مدينة طرخان من طول الحصار وسقوط كثير من

المدن بيد بربار فطلبوا من ملكهم إما أن يخرج لقتال عدوه أو أن يسلم البلاد له بشروط مناسبة فلم يعودوا يطيقون الحصار ، فأرسل الملك طرخان رسالة للملك بربار يطلب منه الصلح ، وأن يهديه ابنته ريهان حليلة له ، وجرى تفاوض وكلام استسلم على أثره الملك طرخان للملك بربار ، وتم الصلح بين الملكين وأهديت الأميرة ريهان بأحلى الثياب والجمال والجواهر للملك بربار فأنزلها مع نساء الأمراء والفرسان ، وأعلمها أنه سيدخل بها عندما يصل مملكته وتتوج ملكة ـ وفعل ذلك خوفا وحذرا من غدرها وتواطئها ضده ، فقد فقد لها اخوة وأقارب خلال المعارك الطاحنة بينهم ـ ثم أحاطها بالحرس والعيون ، وتابع الملك بربار فتحه لبلاد الهند والسند حتى خضعت له أكثر تلك الممالك ، وتزوج الأمراء والفرسان من بنات أمراء وملوك تلك الممالك الكثيرة ، ثم جعل كل عدد من الممالك تخضع إلى ملك كبير مسؤول أمامه عن جمع الأموال وإرسالها له في الجزيرة الكبرى ، وبعدما رتب الملك بربار أمر تلك الممالك ، وحذرهم من الغدر والخيانة ، وأخذ عليهم المواثيق والعهود على الوفاء ، أعلمهم برغبته للعودة لعاصمة ملكه مالونيا ، واجتمع بطرخان من جديد قبل عودته للغرب وقال له : إن غدرتم وعدت إليكم سأدمر ممالككم تدميرا تاما الحجارة والناس .. ولنبق أصدقاء وأصهارا.



أخت الملك بربار

وبينما بربار يستعد للعودة لبلاده ، وقد صرف نظرا عن غزو بلاد الصين بلاد أقصى الأرض ، وقد جمع بين يديه الكثير من الأموال والهدايا والجواهر والخيل والبغال والأفيال والعاج والديباج والبهار ، وبينما الملك بربار على هذا الحال دخل عليه الحاجب يعلمه أن رجلا يرغب ببيعه جارية حسناء لا مثيل لها في الدنيا، ويريد أن يقابله من أجل ذلك ، ولقد كان جيش بربار قد أخذ كثيرا من الجواري والسبايا خلال هذه الحروب ، وكثير من هؤلاء الجواري والغلمان آثروا البقاء في جيش بربار والرحيل معه ، وكان بربار يجلس في مجلس عظيم بين رجاله وضيوفه عندما أخبره الحاجب ببائع الرقيق الذي يريد أن يبيعه أجمل جارية في الدنيا ، فأمر الملك بإدخاله ليرى أجمل جارية في الدنيا ، دخل تاجر الرقيق ليبيع جاريته للملك بربار ؛ فإذا هو عبد ضخم أسمر ، وقد شاب رأسه ولحيته الكثة ، وعندما أصبح العبد التاجر بين يديه ونظره ، عاد الملك بالذكريات للوراء قبل ربع قرن انقضى ، تذكر طفولته تذكر قريته بيت الصبار .. الصراخ والصياح والدماء والأنين والخطف .. تذكر بهرام أباه .. تذكر أمه الثكلى وهي تشد وتسحب بهم من الخاطفين الأطفال .. تذكر سراجة .. تذكر ذؤيبا وصقيرا تذكر البحر والسفن وإلقاء الأطفال الضعفاء في البحر .. تذكر كل تلك الصور الرهيبة .. لم ينس تلك الصور.. طال سكوت الملك على تحية الرجل ، حتى أن جلساء الملك ظنوا أن الملك لم يسمعه وذهب في تفكير عميق ، فقال الملك بعدما دار شريط الذكريات في مخيلته فقال : أيكون هذا درغال ؟! .. يا الله ! لم أنس اسمه .. ووجهه وجه وحش.. ذاك الوحش الأسود رغم قساوة تلك الأيام فهي كانت السبب لما أنا فيه الآن من الملك العظيم.. لو لم يخطفني ويبيعني لتجار الرقيق لما صرت الملك العظيم بربار .. ولكن كثيرا من الذين تعرضوا لإجرامه لم يصبحوا سادة وملوكا ..ألم يفرق بين الآباء والأبناء والأمهات والبنات ؟! .. ألم ييتم الأطفال ويرمل النساء ؟ .. الحرب ألا تيتم الأطفال وترمل النساء؟! .. حياة .. حكمة .. لو لم أبعد عن أسرتي وأهلي ما كبرت هذا الكبر والعلو .. هذه الأفكار وغيرها دارت في رأس بربار

عندما شاهد العبد الأسمر القرصان درغال ، تعجب الحضور لصمت الملك الطويل، ولزموا الصمت مثله فقد أدركوا أن الملك انشغل ذهنه بأمر مهم ، فلما عاد الملك الفارس برbار للواقع وأدرك دهشة القوم قال للعبد : أين الجارية ؟ ولماذا تريد أن تخصني بها ؟!



كان العبد القرصان قلقا من طول تفكير الملك عندما رآه ، وشعر بأن قلبه سقط على الارض ، فلما نطق الملك بالسؤال سري عنه الخوف المجهول ، ورد قائلا : قالوا لي إنك تشتري بثمن غال وتدفع بسخاء.. وجاريتي جارية جميلة ، بل هي زوجة أمير ، وقد خطفتها حديثا ، ولما سمعت بك وبأخبارك فأحببت أن أخصك بها فهي لا تصلح إلا لك .. فهي معلمة ومؤدبة وذكية فأحببت أن أكرمك بها .

كان بربار يعرف الوحش درغال فقد مكث أياما في سفينته أثناء خطفه ، ولولا ذلك لظن أن هذه دسيسة ؛ وإنما هو خاطف ورجل بيع رقيق ، فسمع الجميع بربار يقول بصوت ناعم حاد: أيها الوحش الأسود.. أحضرها لنراها ونرى حسنها !

أشار درغال لأحد رجاله بأن يدخل بالجارية بين يدي الملك ، فدخلت الجارية الجميلة كئيبة حزينة فأشار لها درغال أن تتقدم وتقبل يدي الملك ورجليه، وأخذت بالبكاء فنهرها درغال وقال : تأدبي أيتها الحسناء أمام ملك الدنيا الملك بربار العظيم !

رق قلب الملك لدموع الجارية لسبب لا يعلمه ، فمسح دموعها بيديه أمام دهشة الجميع ، ثم قال مهدئا من روعها : لا تخافي أيتها الفتاة ! نحن لسنا وحوشا مثل جلادك الوحش .. ولن تبقي مع هذا الإنسان الوحش .. ما قصتك ؟

فقال العبد : يا مولاي العظيم ! قبل أن تسمع قصتها هب لي ثمنها .

فقال الملك بهدوء : اصبر واصمت أيها الوحش .. لن نبخسك حقك .. فأنا أعرفك جيدا ..

منذ أكثر من خمس وعشرين سنة.. بيني وبينك حساب كبير .. عندما رأيتك عندما دخلت علينا تذكرتك أيها القرصان ! تذكرت جبروتك ووحشيتك وقتلك للأطفال من غير عطف ولا رحمة .. تذكرت القرصان الوحش .. عادت بي الذكريات للوراء .. لتلك السفينة التي تملكها لصيد الاطفال .. لتلك القرى التي تغزوها برجالك ..إنني أعرفك جيدا .

استغرب السامعون لهذا الكلام ، بربار الملك ومعرفته القديمة لهذا التاجر، وانزعج الوحش الأسود لهذا الكلام الذي لم يفقه منه شيئا ، ولا يعلم كيف يعرفه هذا الملك منذ ربع قرن مضى ؟ لم يلتق بهذا الملك قبل اليوم !.. فهذه أول مرة يدخل عليه !.. حدق الوزير الذئب برهان بعيني بربار لحظات ثم قال للملك : أيها الملك العظيم بربار .. أنا أيضا أعرف هذا الإنسان ، ولم أنس رسمه في حياتي !

جفل الملك لهذا التصريح ، وتبادل مع ذؤيب النظرات العميقة ، وتذكر لقاءه به في مصر أول مرة ، وتذكره يومها لأخيه ذؤيب ، وبينما هما يتبادلان النظرات بدهشة وتعجب ، سمعوا القاضي الطبيب ذهب النهار يقول بدهشة : وأنا أيها القوم الكرام أعرف هاتين العينين وأذكر هذا الرجل في تلك الأيام الخوالي .. في تلك السفينة وقتله للأطفال وبيعه للأحياء الأصحاء .

فحدق القوم بصقير ذهب النهار وقال بربار همسا كأنه حالم : صقير .. ذؤيب .. أسيد ..

فهتف صقير : هذا اسمي قديما وأنا ابن خمس سنوات أو أكثر قليلا !

وصاح ذؤيب : وأنا اسمي ذؤيب وأنا صبي !

تعانق الرجال الثلاثة ، واحتضنوا بعضهم بعضا وصاح الملك : وأنا أسيد بن بهرام.

وارتفع البكاء والشهقات والزفرات بينهم لهذه المفاجأة الغريبة ، فرقهم درغال ، وجمعهم لقاء درغال ، وسمع الحاضرون الملك يقول : نحن اخوة فرقنا هذا الوحش عندما كنا صغارا .. وها هو اللعين يجمعنا من جديد !

وكان العبد القرصان حائرا بما يرى ويسمع ؛ ولكنه سمع الفارس يقول : ألست ذاك الوحش درغال ؟

صاح العبد أمام الملك : نعم أيها الملك العظيم أنا خادمك درغال .

طلب الملك من الجميع الجلوس ، وأشار للفتاة بالجلوس بالقرب منه وقال : أيها السادة سأذكر لكم قصتنا نحن الثلاثة مع هذا الوحش .. فهؤلاء اخوتي من أمي وأبي .. فهذا أخي ذؤيب ، وهذا أخي صقير ، ولله الحمد والمنة .. فجلس الأمراء بعدما هنئوا الاخوة على هذا اللقاء الغريب ، وبدءوا يسمعون لقصة الملك بربار وتعجبوا منها غاية العجب ، وتعجبوا للأقدار التي جمعتهم بعدما فرقت بينهم من سنوات طوال، ولما انتهى الملك من سرد قصته صاحت الفتاة الشابة الجارية قائلة: أنت أخي أيها الملك العظيم .. أنا أختك .. أمي سراجة وأبي بهرام !

وسقطت مغميا عليها ، تبادل الاخوة الثلاث النظرات والسؤال الذي تردد على شفاههم " هل لنا أخت حقا ؟! " هرعت جواري الملك وأخذن الفتاه لعلاجها ، وانتشر الخبر بين خيام الجيش أن الملك وجد اخوته الذين فقدهم وهو طفل صغير، ولحق القاضي الطبيب بالفتاة للقيام بعلاجها ومراقبتها من الصدمة التي ألمت بها ، وأمر الملك بربار بحبس درغال ورجاله حتى يستمع لقصة الفتاة التي تزعم أنها أخته ، ولما استردت الفتاة قواها أتى بها صقير المذهول إلى صيوان الملك بربار، والذين كانوا في الانتظار لسماع حكاية الفتاة ، وكان حوله الحكماء والشعراء والقادة وكبار الفرسان والضيوف من الأمراء والملوك، فقالت البنت أمام الجميع : نعم ، إنكم أهلي يا سيدي الملك .. أنا أختكم .. بعد أن دمر الوحش درغال القرية، ونهب وسلب كما حدثني والدي في ذلك الزمان ، وساقكم الوحوش إلى البحر .. وقد أصيبت أمي بطعنة سكين وهي تحاول منعهم من سرقتكم لكنها لم تكن قاتلة ، ونجا الوالد من قبضتهم ، عاد بهرام الهارب يلملم جراحه ، فوجد أمي سراجة مصابة فداواها وأنقذ حياتها واعتنى بها حتى تعافت ، وكانت أمي حامل بي ، فأخبرت زوجها بذلك ، ففرح لهذا الخبر بعدما فقد أحبابه الثلاثة ، وبعد ولادتها سافر ورحل عن القرية نحو المدينة الكبيرة ، ترك قرية بيت الصبار التي تعرفها يا أخي الملك فنزل بمدينة الجدول ، وكان حزينا جدا على فقدكم

وضياعكم ، وما زال يلهج بذكركم وحبكم ويحلم برؤيتكم ولقائكم قبل موته ، وعاش في مدينة الجدول بكوخ حقير في طرف البلدة ، وكان في النهار يذهب للعمل في قلب المدينة ، وفي المساء يعود لنا بالطعام والشراب إلى أن كبرت وترعررت ، ولم تنجب أمي بعدي أحدا ، وكانت أمي تحب القرية وتحاول إعادته للقرية ، فيأبى ويصر على البقاء في المدينة والحياة القاسية في مدينة الجدول .

كان الملك واخوته يسمعون القصة وهم يبكون بقلوب حرة ، وتنساب دموعهم على لحاهم بغزارة .. لعذاب والدهم وشقائه عليهم.. عادت الفتاة تقول : المهم كبرت يا أخي وذقت حرارة الفقر والجوع والحرمان ككل أبناء الفقراء .. وكنت وأمي نسير نحو الغابة القريبة لنتحصل على الحطب وبعض الثمار والأعشاب فيذهب بها بهرام للمدينة لبيعها ، فلما صرت ابنة خمس عشرة سنة وذات يوم ونحن في الغابة نخرج الأعشاب البرية والحطب ، وكنا في ثياب رثة ، دخل الغابة علينا شاب جميل نبيل عرفنا فيما بعد أنه ابن أمير المدينة ومعه بعض أعوانه ، فتحدث معنا واستمع لنا ولحالنا ورثى لنا وأشفق علينا من الفقر وقسوة العيش ، فأكرما بالطعام الطيب ، وطلب من أمي أن تبعثني مع أبي للقصر للعمل في قصر الملك الأمير وحيد العصر بن عمران ، فرضيت بذلك العمل لأنني سوف أريح والدي وأمي من عناء العمل وبيع الحطب والأعشاب ، فلما عاد بهرام أبي حدثته أمي بلقائنا مع ابن الأمير الحاكم ، فرفض وخاف عليّ من الأمراء وشطار المدينة أثناء الذهاب والإياب ، وبعد أيام أتانا الأمير عامر بنفسه ، أتى إلى كوخنا الحقير وجلس معنا وأكل من طعامنا وأقنع أبي بعملي في القصر، وأن أبات مع خدم القصر ، وأن يزورني أبي كل يوم ، ويأخذ ما قسم الله لهم من الطعام والطيبات ، وبين الحين والآخر اذهب للمبيت عندهم ليلة أو ليلتين ، المهم دخلت قصر السلطان ورحب بي الخدم والحرس، وبدأت العمل في مطبخ السلطان بطهو الطعام وصنع أزكى الشراب وتنسيق الأزهار والعناية بطيور السلطان ، وكان الأمير عامر يرعاني ويتابع شأني سنة من الزمان ، ثم أخبرني برغبته بالاقتران بي بعدما تمرنت وتعلمت ، وأعلمني أنني

سأصبح أميرة من أميرات البلاد ، وتحدث مع والدي بهرام الذي طار عقله من الفرح والسعادة ، فحمد الرب وشكره على هذه النعمة والإحسان ، وعرض عليه الأمير السكن في داخل المدينة ، فأحب والدي البقاء في طرف المدينة ، فقام الأمير بهدم الكوخ وإنشاء بيت جميل مكانه ، وتزوجت من الأمير عامر ، وتغيرت الأحوال ، وأصبحت من جارية تجمع الحطب في الغابة إلى زوجة ولي العهد ، وظللت أعيش بسعادة وراحة بال في ظل هذا الأمير الطيب الشاب ، وقد وهبني الله عددا من الأبناء ؛ ولكنهم ماتوا دون الفطام إلى أن كنت يوما أنا وبعض الجواري في غابة المدينة مدينة الجدول نمرح ونتنزه ونتفرج على الأشجار العملاقة والأطيار خرج علينا الوحش الكاسر درغال وخطفنا ، ثم أحضرونا إلى هنا أيها الملك لبيعنا لك ، وقد أصابنا من الضرب والصفع والاهانة ما يمزق القلوب ويدميها ، ولي بين أيديهم أكثر من شهر ، وقد أخبروني بأنهم سيبيعوني للملك بربار سلطان الهند الجديد ، وها أنا بين يديك أيها الملك العتيد .. وأنا ابنة بهرام وسراجة الأميرة ورود زوجة الأمير الفارس النبيل عامر بن الملك وحيد العصر بن عمران ملك مدينة الجدول.

بكى كل من سمعها وتأثر بقصتها، ونهض الملك الباكي واحتضنها وقبلها من وجنتيها وجبينها ومسح على رأسها ، وفعل أخواه مثله، ولما انتهت لحظات العواطف الجياشة قال الملك بربار : سنعرج على مدينة الجدول لنكافئ ملكها على معروفه معنا ، ونرى الوالدين الطيبين ، ونقابل صهرنا الأمير الجواد عامر .

واصدر الأمر بكتابة رسالة للملك وحيد العصر وابنه عامر يخبرهم فيها بخبر الأميرة ورود ابنة بهرام وأخت الملك العظيم بربار ، كانت السعادة تغمر الملك بشكل بين للعيان، وأرسل مع الرسالة كوكبة من الفرسان الصناديد ، وطلب منهم الإتيان بوالديه معهم ، وبعث معهم مركبة ملوكية لحملها ، وأقام الملك مأدبة كبيرة بمناسبة التقائه باخوته ، أطعم فيها الجيش والضيوف حتى تحدث عنها الشعراء والقصاص ، ثم أذن الملك بعدئذ لأخيه صقير القاضي الطبيب ذهب النهار بحكاية قصته ، فلما رفعت الموائد والشراب وقدمت الحلوى والفواكه

للناس والجالسين في صيوان الملك الكبير ، وقد أشعلت المواقد والمصابيح ، وتهيأ الجميع للسماع قال الأمير صقير باسما : أنا كنت أصغر اخوتي المخطوفين ، والحق أنني نسيتهما مع تصاريف الليالي والايام ؛ ولم أنس مشهد الوحش الأسود وهو يشير لرجاله بقذف أصحابنا وأبناء قريتنا وغيرها من القرى من أصحاب العاهات والضعف في مياه البحر ليموتوا لم يتركهم يعودوا لأهليهم .. فحادثة قرية الصبار لا يمكن نسيانها .. وأطفال البحر مشاهد لا تنمحي من الذاكرة والعقل بسهولة .. فلما رأيت القرصان الوحش في حضرة الملك عرفته تذكرته .. وكما قال الملك العظيم برباب .. اشتراني تاجر من تجار مدينة الأحلام ، ولابد أنني بكيت على فراق اخوتي ، وقام هذا التاجر بإدخالي الحمام ، وقام غلمان الحمام بتنظيفي وإزالة الأقذار عن بدني وسميت بالغلام ذهب ، وكان هدف التاجر من شرائي هو تربيتي مع ولد للتاجر اسمه نهار يكبرني بسنة أو سنتين ، فسميت فيما بعد بذهب النهار أي أنا خاص لابن التاجر ذهب ، وبعد خمس سنين هلك نهار هذا فحزن الأب عليه ، وخسر في ذلك الحين تجارة كبيرة فباعني لصاحب له يعمل في الطب والحكمة بثمن زهيد ، واهتم بي سيدي الجديد شهبار ، وكان فاضلا يحب الكتب والعلم والطب ورغبني في تعلم هذه الأشياء ، ووجدت لدي قبولا إليها فتعلمت منه مهنته ، ولما اقتربت من العشرين سنة كان الملك يبحث عن قاض لبلدته في تلك الأيام ـ أي بعد عشر سنوات قضيتها بصحبة شهبار ـ وأراد الملك أن يجعل سيدي شهبار قاضيا فاعتذر شهبار ، واختارني له فوافق الملك على اختياره ، فأصبحت قاضيا بعدما اعتقني سيدي من الرق ، وكنت في نفس الوقت أقوم بمداواة المرضى ، وتركيب العلاج لهم لإزالة أوجاعهم وتخفيف آلامهم ، فكنت القاضي الطبيب إلى أن قدر الله لنا أن نلتقي بكم أيها الملك العظيم فهذه قصتي بالتمام والكمال .

فقال الملك : لقد دهشت لسعة علمك واطلاعك ، وكلما أسأل عنك يقولون لي هو مع كتبه وأعشابه.

فتبسم الأمير صقير وقال : عشقت مهنة سيدي شهبار ، وأخذت شهرته وعلمه وطبه ، وقد

مات قبل لقائنا بكم بسنتين ونصف والله اعلم .

فقال بربار : لقد اجتمعت بتجار المدينة جميعهم ، فلم أر التاجر الذي اشتراك ، أتيت مدينة الأحلام للبحث عنك يا أخي .. كنت أظن بأنني لو رأيت ذاك التاجر لعرفته.. إنني أملك ذاكرة قوية بفضل من الرب !

فقال صقير مبينا عدم وجود ذاك التاجر في بلدة الأحلام : أيها الملك بربار بعد أن باعني ذاك التاجر ، وباع كل غلمانه ترك البلدة ورحل بزوجته وابنته إلى العراق ، ولم أره بعدما باعني لصاحبه شهبار فمن أجل هذا لم تره .

فقال بربار سعيدا بأخيه القاضي الطبيب : هذا حكاية أخينا صقير ذهب النهار يا ورود الجميلة .. فظل أن نسمع حكاية الذئب برهان .. أخونا ذؤيب .



اعتدل الوزير ذؤيب في جلسته وابتسم للجميع وقال : منذ رأيتك أيها الملك بربار في السفينة في ميناء مصر وقلبي يخفق لرؤياك ، وأهمس لنفسي بحيرة "عيون أسيد" .. هل هو أخي الكبير ؟! ولكن احتمال اللقاء كان ضعيفا في نفسي ، هذا ملك كبير وسيد آلآف الجند .

فقطع بربار الكلام وقال : وأنا أيضا شعرت بهذا الشعور الغامض نحوك ، وقلت صورة أخي لم تتغير إلا الشارب واللحية .. واللغة كانت تفصل بيننا لا أدري كيف أفاتحك بهذا الموضوع الصعب والشاق على النفس فأحببت ـ وقد ذكرت أخي ذؤيبا في شخصك ـ فأحببت رفقتك وصحبتك .. ومن أجل ذلك طلبتك من الملك زدياب لعلي استمع حكايتك أو أجد خيطا يربطني بك إلى أن كان هذا اللقاء العظيم

عاد الذئب برهان يقول : وأنا أحسست بذلك الإحساس الجاذب .. ولكن.. ولكن هل يمكن أن يكون أخي أسيد ذلك الملك العظيم بربار ومن وراء البحار ؟!.. الرق أمره عجيب

رغم قسوته ؛ ولكنه يرحل بالإنسان إلى أرض واسعة أنت في الجزيرة الكبرى وراء البحر، أنا في النهر في مصر ، صقير في مدينة الأحلام .. ورجالك الشجعان لا يعرفون عن حياتك الكثير أو لا يحبون الحديث عن أيام عبوديتك .

ضحك بربار وقال : الحق أنهم لا يعرفون الكثير من التفاصيل عن حياتي في الطفولة.. هم عرفونني فارسا دخل مدينة مالونيا حارسا للأميرة سونيا ابنة الملك جليان، ثم شاركت الملك نابولي معاركه الكثيرة ، ثم جعله لي وريثا لملكه هكذا يعرفونني؛ ومؤرخنا العالم " بلوح " كتب جزءا من سيرة حياتي وهو يؤرخ لحياة الفارس الملك نابولي ، وقد ذكر شيئا عن عبوديتي واسترقاقي في بلاد الغرام ، وأنني من مماليك الملك جليان .. وهذا الرجل لم يخرج معنا في هذه الحملة ، وأما مؤرخو هذه الحملة فهم ثلاثة لم يذكروا كما علمت منهم عن حياتي في بلاد الغرام شيئا يذكر ، هم يكتبون معاركي مع نابولي ، وكيف ورثت هذا الملك العظيم؟ وتحركات هذه الحملة والمعارك التي خضناها في هذه البلاد .. الجميع يعلم أنني من رجال الملك جليان .. تابع قصتك يا أخي الوزير .

قال ذؤيب : تذكر عندما افترقنا كنت أنا ابن سبع سنوات ، وقد استرقني رجل يعمل في قصر سلطان مصر قبل خمس وعشرين سنة ، وكان السلطان والد الملك زدياب فلم يكن زدياب ملكا بعد .. وكان الرجل الذي استرقني من قادة وحرس السلطان فاهتم بي وأدبني وعلمني الفروسية وركوب الخيل ومطاردة الفرسان .. أنا وغيري من الرقيق ، فما بلغت سن الخامسة عشرة حتى اشتد ساعدي وعظمي ، وأصبحت من فرسان القائد ، وكان قد علمني الخط والكتاب فتعلمت ذلك ، وكذلك الخطابة وحسن الكلام ، فلما كبرت ووصل سني الخامسة والعشرون صرت فارسا ومقدما في حاشيته ثم حاشية الملك ، وكان سيدي يدعى السيد برهان وأنا اسمي ذؤيب فسماني الذئب برهان ، واشتهرت بين الأصدقاء والناس بذلك ثم اتخذني ولدا له لأنه كان عقيما ، ولم يرزق بالبنين والبنات ، ثم علا شأنه وأصبح وزيرا عند الملك زدياب بعد وفاة والده ، ثم مات هو بعده بعام وبضعة أشهر ، فلما مات والدي برهان

جعلني الملك وزيرا مكانه ، وقد كنت رفيقا وصديقا للملك قبل الملك عندما كنت غلاما في القصر ، فلما حضرت إلى مصر بهذه الجيوش الجرارة وعرضت علينا المرور بسلام درسنا الأمر، وأنا اقترحت عليه حضورك لتوثيق الكلام ، فأوفدني إليك فتعارفنا ، وتجاذبت قلوبنا لبعض ، وما جرى بعدئذ تعرفونه أيها الإخوان خرجت معكم في هذه الحملة إذعانا لرغبة الملك بربار ، فهذه حكايتي أيها الملك العظيم .. ونحن بشوق عظيم أن نسمع حكايتك بالتفصيل يا أسيد الملك وليحضر مؤرخو هذه الحملة ليسمعوها ويجعلوها ضمن صفحات وتاريخ هذه المعارك .

فقال أسيد : أنا أجملت لكم سيرة حياتي ؛ ولكن حبا وكرامة سأفصل لكم بعض الأشياء، وأما الآن فعلينا بالشراب الطيب والعسل الممزوج بروائح العبير .



وبعدما دار الشراب على الملك والأمراء ورجع الهدوء للمكان، واشرأبت الأعناق ، وأصغت الآذان لسماع حكاية الملك بربار ، وكيف أصبح أسيد أسدا وسيدا وامتلك المدن والبلاد والممالك والعباد وسيد من سادات الأرض في ذاك الزمان؟ الفارس بربار مع ما فيه من الملك والعظمة كنت تراه كأنه لم ينس أنه ابن قروي فلاح بسيط ، فذكر لنا بربار كل ما سطرناه في هذه السطور ، فاستمتع السامعون بالحكاية ؛ ولكنها لم تنته أيها الناس الطيبون ، وبعدما انتهى من الكلام أمر أخته بالذهاب إلى المنام وهي مذهولة من حياة الملك ومعاركه الكثيرة في تلك البلاد البعيدة ، وبعد أيام استعد الجيش للرحيل والعودة إلى مصر حيث السفن والبحارة في الانتظار ، فأتى ملوك الهند والسند لوداعه وتأكيد الولاء لعرشه ، وحثهم على الوفاء وعدم إحراجه بالمجيء مرة أخرى لهذه البلاد ، فوعدوه خيرا وجددوا معه المواثيق ، وتحرك الجيش المنتصر نحو الغرب ، وأثناء العودة عاد فرسانه بأبيه بهرام وأمه سراجة وأتى معهم الأمير

عامر ، وكان لقاء قد تكلمت فيه القلوب والزفرات والتنهدات والقبلات والهمسات ، وسر الجميع بهذا اللقاء الجديد ، وقد تحولت مأساتهم نعمة كبرى عليهم ، وشكروا الباري على كمال تدبيره وترتيبه ، وتابعوا المسير إلى مدينة الجدول ، وخرج الملك وحيد ليستقبل ملك الدنيا بربار العظيم ، فكان الاستقبال استقبالا كبيرا بين ملك صغير وملك ملك بلاد الغرب وبلاد الشرق ، وأغرق بربار أهل مدينة الجدول وملكها بالهدايا والأموال ، وقدم لهم الشكر وحسن الثناء ، ودعاهم لزيارة الجزيرة الكبرى ، فشكروه ووعدوه بفعل ذلك إذا تيسر الحال ، ثم ودع الأمراء أختهم ورودا التي ظلت على الوفاء لزوجها الأمير والبقاء تحت جناحه ، وقبل مغادرة البلدة أمر بربار بسفك دم القرصان الأسمر درغال ومن معه من الأعوان على ما اقترفت أيديهم من الفساد والدمار ، واستمر المسير نحو مدينة الأحلام .



جزيرة سانتي

رحب بهم أمير مدينة الأحلام ، وبارك لهم الانتصارات في بلاد الهند ، وأولم لهم الولائم ، وسمع قصة القاضي ذهب النهار، وعجب للأقدار ، وهنئه باللقاء بأهله، ورخص له بالرحيل مع أخويه ، ورحلوا للشام ومنها لأرض مصر عند الملك زدياب ، ووهبوه الهدايا والأفيال ، وانفصل من بقي حيا من الجنود المصريين وعادوا لمعسكراتهم وأهليهم ، ومن أحب منهم المسير مع الملك برбار إلى الجزيرة الكبرى أذن لهم السلطان ، وبارك السلطان المصري للملك التقائه باخوته وأهله ، وأرسل الملك رسالة لنائبه ملاريون يعلمه فيها بقرب قدومه ، وأنه في أرض النيل ، ولما تجهزت السفن وارتاحت الجنود من السفر على الدواب والخيل وغيرها أذن الملك برбار بركوب السفن ، فحملت الخيل والدواب والأحمال والأفيال والأموال والسبي والجنود والفرسان ، وودع برбار أهل مصر ، وكان الملك زدياب قد سمع قصة الذئب برهان فأذن له بالرحيل مع أخويه ، وكان وداعه له حارا وكبيرا وهو يقول مودعا : رافقتك السلامة لا تنسانا أيها الوزير !

وتحركت السفن نحو الجزيرة الكبرى ، وانتشر الخبر في الجزيرة الكبرى شرقا وغربا بقرب عودة الملك الفارس برбار مظفرا منتصرا ببلاد الهند ، وانتشر الرعب في قلوب الأمراء والملوك الذين تمردوا على ملاريون ، وأخذوا يرسلون الوفود والهدايا والأموال ويطلبون العفو ويظهرون الندم ، ولما وصل الملك لسواحل مالونيا خرج كل أهل مالونيا لاستقبال الإمبراطور غازي بلاد الهند والسند ، وكان استقبالا ضخما وهائلا أبكى الملك الفارس وهمس في أذن أخويه " أرأيتم ما منحنا الله من النعم والخيرات ؟! "

دخل الملك قصره وكان بين يديه القائد ملاريون يكلمه عن أحوال المملكة والإمارات ، فلما انتهى من كلامه سأله برбار هامسا : أين الملكة يا ملاريون لم أرها في استقبالي ؟!

اصفر وجه ملاريون وقال : سأقول لك كل شيء أيها الملك .

انقلب وجه برбار وقال : حسنا !

فطلب الملك من الملوك والأمراء أن يسمحوا له بالراحة هذا اليوم ، ثم تركهم وخلفه ملاريون نحو جناح النوم ، وخلا الملك بنائبه فعلم منه أخبار ملوك الجزيرة ، وأخبره أن زوجته في السجن ، فدهش الملك لم سمع فقال له ملاريون : لقد خانتك أيها الملك! ولم تحافظ على شرفها وشرفك .. فحبستها لترى أمرك فيها وإلا كان باستطاعتي قتلها ودفنها .

فظهر الغضب على وجه وبدن الملك برابار وصاح وهو يتذكر سونيا خائنة نابولي : كيف ؟!

فقال ملاريون : دخلت عليها فجأة ذات ليل لأشاورها في أمر ما ، فوجدت في مخدعها رجلا غريبا ، فتعجبت وارتبت واعتذرت وخرجت وأخذت أراقب هذا الغريب والأميرة ؛ فإذا هما عاشقان فتربصت بهما حتى مسكتهما بالجرم المشهود ، فحبستهما وكتمت أمرهما ريثما ترجع ..وها أنا قد وضعت الأمر بين يديك .

صمت برابار زمنا مفكرا ثم قال : لا بأس أيها الأمير .. الأمر صعب وشديد على القلب .. وهذا ما جرى قديما لسيدي الملك الباسل نابولي .. في الغد نلتقي ونفكر بالأمر .

ودخل إلى حجرته لينام فهل نام يا ترى ؟!

فكر برابار بموضوع زوجته سنديانة ثم قال مواسيا لنفسه : نساء هذه البلاد لا يحفظن العهد والشرف ، وبعد أيام من استقراره في ملكه اجتمع بالأمير ملاريون نائبه الوفي وقال : سأطلق الأميرة سنديانة ، وسأعفو عنها من أجلك ومن أجل وفائك بخدمتي ، فأحضرها لي الليلة ومعها عشيقها لأنظر إليه ، وأرسل لي رسائل لكل من خرج عن ملكنا ليحضر إلينا ذليلا تائبا حالا .. سأعزل هؤلاء عن حكم بلادهم وولاياتهم .. وعلينا إعداد جيش ليقوده الأمير ذؤيب إلى جزيرة سانتي في أعماق البحر ..هيئ لي ذلك الأمر .

التقى برابار الملك بجيشه الخاص وتحدث مع قائدهم جرار ، وطلب منه اختيار ألفين من الفرسان للمشاركة في حملة على جزيرة سانتي في أعماق البحر .

ولما دخل الليل وعاد الملك لقصره ، وجد الأمراء والوزراء في انتظاره ، فتشاور معهم في شؤون المملكة وأمر ونهى ، ثم جلس مع الحكماء والعلماء وحضر هذا اللقاء معه الأمير صقير

ذهب النهار ، واستمع لقصصهم وعلمهم حتى نصف الليل ، فلما انصرفوا أحضر له الأمير ملاريون أخته سنديانة وعشيقها فوجده رجلا مغمورا ؛ ولكن للنساء في عشقهن فنون ، فتقدمت الملكة منه تعتذر إليه ، وقد انطرحت أرضا تقبل قدميه ، فقال لها باحتقار : أنت التي رغبت بي زوجا فلن أقتلك أيتها الأميرة ! أنا لا أحب قتل النساء .. وقد طلقتك فاذهبي أنت وعشيقك إلى أي مكان في المملكة .. فقد عفوت عنكما من أجل الأمير ملاريون .

فأبدى الأمير امتنانه وشكره للفارس ثم قال بحدة : أنا سأقتلها يا ملك الدنيا .

فقال بربار : لا تفعل أيها الأمير ..اعف عنهما من أجلي وزوجهما ، وأعلن في الملأ أنني سأتزوج من الأميرة ريحان ابنة الملك طرخان لنجرب وفاء نساء الشرق .

فقال ملاريون : أيها الملك إنها جرحت شرفي وكرامتي .. ولولا خشية غضبك عليّ لسفكت دمها منذ اكتشفت خيانتها .

فقال بربار : لا تفكر هكذا ، فهي امرأة جاهلة تصرفت عن جهل وعشق ، والنساء كثير .. فدعهما ينعمان بحبهما .



احتفلت البلاد بزواج الملك بربار من ملكة الهند ريحان التي انتظرت هذه الشهور على نار الشوق والقلق ، وفرحت بزواجها من هذا الملك العظيم ، وأتت الملوك والوفود مهنئة للملك بعروسه وأتته الهدايا من الشرق والغرب ، وبعدما تزوج الملك وعزل من تمرد على ملكه إما بالنفي أو الحبس ، فأشهر للناس بأنه يريد إرسال حملة لاحتلال جزيرة سانتي فهي جزيرة غنية ومليئة بالذهب والمرجان والمعادن ، وكان بربار قبل حملته للشرق قد طلب من أهلها الخضوع لملكه فرفضوا ، فلما رجع ظافرا ظلت في نفسه هذه الجزيرة ، فجدد مخاطبتهم من جديد ، وحثهم على الخضوع ، فرفض ملكها بشدة الخضوع لمملكة مالونيا ، مما زاد من

غضب بربار عليها وحنقه ، وعجب كذلك من شجاعتهم من عدم الانبهار بالقوة التي يملكها، فجهز جيشا من عشرين ألف فارس بقيادة الأمير ذؤيب الفارس الذئب برهان فارس بلاد النيل ، وجرى إعداد السفن ، وجرى وداع كبير لهذا الجيش ، وركبوا السفن والقوارب واتجهوا إلى جزيرة سانتي في البحر العميق ، الجزيرة الغنية بالثروات الذهبية والمرجان، ويحتاج الوصول لهذه الجزيرة أكثر من عشرين ليلة مع موافقة الريح لاتجاه السفن ، كان الناس في مالونيا واثقين من انتصار جيوشهم الكبيرة والقوية على أهل الجزيرة البحرية ، بعد عشرة أيام من السير في أعماق البحار حدثت معركة ، كان ملك جزيرة سانتي قد علم بهذه الحركة وهذه الحملة ، فاستأجر مغامرين وقراصنة بحار وأغراهم بالمال والخمر ليعملوا كمينا لجيش الذئب برهان في وسط البحر قبل وصولهم للجزيرة ، وفي وسط الظلام اعترض هؤلاء المرتزقة السفن وهاجموها بالنار والنفط ، فوقعت كارثة لجيش بربار أمام هذه المفاجأة ، وغرقت كثير من السفن بمن فيها من الفرسان والرجال ، ومن نجا من الغرق سقط في قبضة القرصان ، فأوثقوا بالحبال ، وجروا جر الحيوان ، وبيعوا في الجزر وبلاد السواحل بأبخس الأثمان ، وفرح ملك سانتي لهزيمة جيش بربار المغرور ، وقبض القرصان والمرتزقة منه مائة ألف دينار، وطلب منهم أن يبقوا على اتصال فلابد أن بربار سيغضب غضبا شديدا لما حل بجيشه في جنح الظلام .

فلما وصلت الأخبار لمالونيا بالكارثة ، وسمع بربار بها انفجر باكيا ، ودب فيه المرض واشتعلت في رأسه النار، واجتمع بالقادة والفرسان والحكماء ، وبدأت تصل إليه تفاصيل الكارثة من بعض الناجين ، فأقسم قسما عظيما بأن يحرق جزيرة سانتي بمن فيها من الناس والأموال ، وأمر ملاريون بتجهيز مراكب ضخمة لحمل مائة ألف مقاتل ، وبعد سنة من الزمان كانت السفن المصنوعة والمشتراة جاهزة لنقل الفرسان ، ووضع الفارس جرارا نائبا عنه ، وحذر زوجته من الغدر والخيانة ، فطلبت السفر معه فاعتذر وأبى ، وركب الفرسان البحر وساروا بالسفن والقوارب والخيل إلى جزيرة سانتي ، وكانت الخطة أثناء الرحلة السير

في النهار والتوقف في أثناء ساعات الليل مع بقاء المشاعل والأنوار وتقوية الحراسات ، واستعداد فرسان القوارب للحرب والقتال في أي لحظة ، كان ملك سانتي على علم بخروج الحملة الكبيرة بقيادة الملك بربار ، وأنه خرج بجيش كبير وسفن كثيرة ، وأنه أقسم على حرق الجزيرة على أهلها ، فحصن الجزيرة وحرض أهلها على القتال والدفاع عن أنفسهم بكل قوة ، ثم اتصل بالقرصان وأغراهم بالأموال الكثيرة والخمر ، ورتبوا كمينا لجيش بربار ؛ ولكنهم فشلوا وصدهم جيش بربار ، ووقع الكثير منهم أسرى ، فأمر بربار بقتلهم جميعا ورمي جثثهم في البحر، ونجا زعيمهم في سواحل البحر، وعلم أن بربار عرف اسمه وأصدر أمرا بالقبض عليه في كل البلاد ، وأن أي ملك يتكتم عليه ويأويه يجعل مملكته وبلاده عرضة للنهب والانتقام ، فحاول الاختفاء والاختباء والتنكر وعدم إظهار شخصه للعوام ؛ ولكن وصل خبره لأحد الملوك فأسره بعدما احتال عليه ، وأراد أن يقدمه هدية للملك بربار الذي يحاصر جزيرة سانتي من جميع الجهات ، وقد استمر الحصار سنة من الزمن حتى تعب جيش بربار، وظهرت فيهم الأسقام ، فوضع الملك خطة اقتحام جريئة وسريعة ، وهجم الجيش مع الصباح من إحدى الجهات ، واستطاع اقتحام الأسوار بجراءة الفرسان والمغامرين الذين تسلقوا الأسوار ، فدارت معركة هائلة على تلك الجهة سقط فيها آلاف القتلى من الفرسان والأبطال ، وكانت الخطة اقتحام الفرسان لجهة أخرى حيث اقتحم بربار بنفسه جهته ، وبعد تضحيات كبيرة دخلوا وهدموا الأسوار وقتلوا حماتها ، وبدأ الزحف نحو وسط الجزيرة حرقا وتدميرا وفتكا ، فلما وصلوا القصر لم يجدوا الملك وحاشيته ، وجدوهم قد هربوا ، وبعد التحري عن منفذ الهروب والاختفاء وجدوهم قد هربوا عن طريق سرداب يتصل بالبحر ، فأمر الملك بربار بحرق المدينة عن بكرة أبيها مدنها وقراها ، وساقوا بعض أهلها أسرى ، وكانت معركة دامية فلم يبق من أهل المدينة صغيرا ولا كبيرا ذكرا ولا أنثى ، وبعدما أضحت الجزيرة أطلالا وهدمت بيوتها ومساكنها ، وقد أبيدت الجزيرة ودمرت تدميرا كاملا ، عاد الجنود إلى سفنهم ومراكبهم ليعودوا إلى مالونيا بعد هذه المذبحة الرهيبة ، وقد وصل جيش

مالونيا إليها منهوك القوى ضعيف البدن ، وقد أصاب بعضهم الأمراض والاوجاع ، هلك منهم أكثر من عشرين ألف بسببها ، فحزن بربار عليهم حزنا كبيرا ، وأسف لم حل بهؤلاء الجند المخلصين له ، فاعتكف في قصره شهورا وأياما ، وقد خيم الحزن على أهل مالونيا رغم النصر الكبير المدمر الذي حققوه على جزيرة سانتي والانتقام من أهلها ، وفي هذه الأثناء أنجبت الملكة ريهان طفلة فسماها الملك بربار "وهم الأيام" ، فلنتركه الآن في حزنه على جيشه وأخيه ذؤيب ؛ ولنرى ما جرى للقائد ذؤيب قائد الحملة الأولى لجزيرة سانتي .



ذؤيب فقد كان ممن وقع في أسر القرصان والمرتزقة ، وهؤلاء لم يعرفوا بأنه أخ الملك بربار فظنوه أحد الجنود فأسروه ، وكان قد أصيب في فخذه بجرح عميق ، وكان ينزف دما ، وكان أيضا قد فقد ذاكرته مصدوما مذهولا لم حل بجيشه من الهزيمة والحرق لأغلب سفنه ، فربط القراصنة فخذه ، وباعوه في مدينة ساحلية اسمها " لمعة" لرجل أمير من أمراء تلك البلدة ـ وهذا الأمير صاحب مزرعة كبيرة من الأبقار والأغنام ـ فأخذه منهم بثمن بخس ؛ لأنه مصاب وقد يموت فلا يستفيد منه شيئا ، وقام على علاجه وألحقه بعد العافية مع الرعيان، وحذره من عاقبة الهرب والغدر ، وكان ذؤيب ما زال مصدوما فاقدا للذاكرة ، ولا يعي ما جرى معه ولجيشه في البحر ، فاهتم بالرعي والحلب وأتقن هذا العمل ، ولم يفكر بالهرب لأنه نسي ماضيه ، وكان من نظام هذه المدينة تربية الأغنام والأبقار والعجول ، وربما تقبل سفينة أو أكثر كل ستة أشهر من المدن الأكبر لشراء هذه الدواب ، وأحيانا أخرى يقوم أصحاب هذه المزارع الحيوانية وبعض التجار باستئجار سفينة وحراس ، ويذهب من كل مزرعة مندوب أو أكثر لبيع هذه العجول والدواب في المدن الأخرى الغنية ، ويعودون بالثياب والملابس والأقوات المناسبة لبلادهم ، قضى الفارس ذؤيب أكثر من سنتين في هذه المزرعة ، وهو ما زال

فاقد الذاكرة ولا يعرف من ماضيه شيئا ، ومن أي البلاد أصله أو أين ولد ، إلى أن جاءه يوما صاحب المزرعة الأمير ضرار وأخبره بأنه سيرسله مع قافلة التجار وأصحاب المزارع لبيع العجول في مدن الشمال الغنية وسيكون مع " عفرا " ، وكانوا ينادون ذؤيبا في هذه المزرعة بالعبد مروان ، وشرح الأمير ضرار مالك هذه المزرعة للعبد مروان المهمة التي سيقوم بها وهي بيع الأبقار والدواب وشراء الملابس والعطور ، وأعلمه وطمأنه أن عفرا له خبرة بمثل هذه الرحلات ، فاستعد العبد مروان لهذه الرحلة وجهز نفسه كما أراد له سيده ، وبعد أيام تجهزت السفينة ورفعت إليها الأبقار من مختلف الأمراء والتجار ، وركب قائد الحملة وهو أحد الأمراء أصحاب المزارع في سفينة صغيرة وركب الحراس الآخرون مراكبهم وسارت القافلة البحرية نحو الجزيرة الكبرى ، وكان هدفهم مدينة مالونيا القريبة من ساحل البحر عاصمة ممالك الجزيرة الكبرى وبعض المدن الساحلية الأخرى كمدينة الغرام .

نترك القافلة التي تقل الأمير الفاقد الذاكرة ذؤيب في مياه البحر العظيم ونسبقهم إلى مالونيا التي حلت بها كارثة كبرى كما ذكرنا وهي مقتل أكثر من خمسين ألف فارس بعضهم في حرب سانتي والبعض الآخر بالمرض ، وفيهم من كبار فرسان بربار ، أما الملك بربار فاعتكف من هول الكارثة في قصره عدة أشهر وأياما حتى دخل عليه القادة والأمراء والحكماء وبينهم صقير، وطلبوا منه ترك الحزن والضعف ، وأنه لا يليق بالملوك الاستسلام للحزن والبيوت كالنساء ، وعليه الاهتمام بتدبير شؤون هذا الملك الكبير والبعد عن الهوان والأحزان ، وبعد طول نقاش وكلام اقتنع بربار بكلامهم ، وبدأ يخرج من عزلته رويدا رويدا ، فينزل الأسواق والميادين ، ويزور الملوك الذين يخضعون لمملكة مالونيا ، وما مضت عدة أشهر أخرى حتى تلاشت أكثر أحزانه ولم يبق منها إلا الذكريات المرة، وعاد للمرح بعدما استرد كامل صحته وحيويته بمساعدة الأطباء والحكماء ، نمي إليه خبر أن هناك مجموعة من الفرسان والأمراء يعدون العدة للتخلص منه ، فالتقى بالأمير ملاريون وقائد فرسانه جرار ونقل إليهم الخبر ، فنصحوه بالحذر لأن الشر لا ينتهي من هذه الدنيا إلا بنهايتها ، وأمرهم الملك بتنشيط العيون

وأصحاب الخبر المخلصين للوصول للمتآمرين ، وأمر جرارا بتغيير الحرس بدون أن يحسوا ويشعروا بالأمر والشك ، ويظهر لهم كأن الأمر تغيير عادي وأمني طبيعي ، كان من عادة الملك بربار أن يشرب قبل النوم كأسا من عصير البرتقال المخلوط ببعض الأعشاب بناء على وصف أحد الأطباء ، وكان هذا الكوب من مهام جارية من جواريه اسمها "سراد "، وعندما علمت هذه الجارية بدخول الملك لمخدع النوم أحضرت له كوب الشراب ليشربها كالعادة ، وكانت تضعها بالقرب من سريره وتنصرف ، فتحضر بعد ذلك زوجته ريهان فتتحدث معه وتشاركه المنام في تلك الغرفة ، وفي خلال حديثهما يشرب بربار الكوب ، ولما شرب الرشفة الأولى لم يستسغ الشراب فرشف ثانية وثالثة وقال معلقا : لا أدري لها طعم غير طيب هذه الليلة ! ورمى الكأس بما فيها .



فهدأت الملكة من غضبه وقالت : سأصنع لك خيرا منها بنفسي أيها الفارس .. لا تغضب .

فهمس قائلا : لا أريد شيئا .. مللت من هذا الدواء أين طفلتي وهم الأيام ؟

فقالت الملكة : نائمة .. هل أوقظها لمولاي الملك ؟

فقال : لا .. أحس بدوار في رأسي .. الدوار يشتد استدعي الطبيب مازندار .. أحشائي تتمزق يا ريهان .

أتى طبيب الملك والقصر سريعا ، وكان الملك قد سقط على السرير لا يعي شيئا، نظر إليه الطبيب وإلى عينيه ثم قال للملكة : أيتها الملكة الملك سقي سما شديد الفاعلية ..

سقطت الملكة على الأرض وهي تقول : سما .. افعل له شيئا !

أتى جرار وفرض طوقا من الحصار على القصر ، واضطرب القصر الملكي ، وذهب للطبيب والملكة فأخبرته الملكة بما تعرض له الملك ، فأمر قادة الفرسان ألا يسمحوا لأحد بالخروج من

الخدم والجواري والحرس ، وأمر بالبحث عن الجارية سراد ولكنها اختفت ؛ فأدرك الفارس أن هناك مؤامرة حيكت ضد الملك ، فذهب وأتى بالقاضي الطبيب صقير على الفور ، فقام الأخير على فحص صدر بربار وشفتيه وعينيه ، وعمل له تفريغ جوف ، وأسقاه شرابا خاصا ثم قال : الملك شرب سما قويا ؛ ولكنه لم يشرب كثيرا منه على ما يبدو وإلا قد مات على الفور. ثم أخرج عشبة من جرابه صنعها لعلاج السموم ونقعها بالماء وفركها ، وفتح فم الملك ودلقها فيه فعطس بربار فقال صقير: أيها الفارس جرار وأنت يا ريهان احضـروا لنا ماء بملح واغسلوا به وجهه ، ثم بعد ساعة اسقوه منه ..ثم ساعة بعد ساعة حتى الصباح سيكون قد بطل مفعول السم .. وسوف أتابع معه العلاج ، ولا تخافوا فهو لم يشرب سوى القليل من السم ، وأنت يا مازندار راقب الوضع ولا تقلق ؛ فإن لم يقدر له الموت فسوف يتعافى بإذن رب السموات والأرض والبحار..

ولما أتى إليه ذهب النهار صباحا ومع إشراقة الشمس كان الملك قد أفرغ كل ما في جوفه ودخل الخلاء عدة مرات ، فقام صقير بجرح عرق نزف منه الدم حتى ملأ كأسا كبيرة الحجم ثم ضمده، وطلب منهم أن يسقوه مرق الدجاج والديوك، انتشر الخبر بتعرض الملك للقتل بالسم بخيانة جاريته سراد ، وقام البحث عنها في كل أنحاء الجزيرة وعن فارس من فرسان الملك يدعى " ايفانز "، ولما تعافى الملك تماما من السم وعادت له قوته البدنية والعقلية طلب رئيس الشرطة وكلفه بالقبض على ايفانز وسراد بكل قوة وسرعة ، وأقامت المدينة حفلة عظيمة بمناسبة شفاء الملك حضرها الأصدقاء من الملوك والأمراء ، وممن حضر هذه الحفلة الأميرة سونيا وأخوها الملك برليان الذي ورث العرش عن أبيه جليان ، والتقت بالملك بربار ومعها زوجها سرياني ، وقد لفت نظر الملك غياب ملوك أقصى شمال الجزيرة عن هذه الاحتفالات ، فسأل ملاريون عن ذلك ، وكان ملاريون قد أصبح كبير الوزراء والنبلاء فرد على استفهام الملك قائلا : أيها الملك العظيم !.. سمعت أن أمراء تلك الجزيرة يتهامسون بالانفصال عن الإمبراطورية فأرسلت أحد الفرسان سرا ليجتمع بأعواننا هناك ويأتينا بالخبر

اليقين .

تضاحك بربار وتحسس جسده وقال : ويحهم لم أصير بعد شيخا هرما .. من يقود هذا التحرك والتمرد ؟

فقال ملاريون : لا أدري أيها الملك ، لا أحد يجرؤ أن يكشف نفسه متمردا ؛ ولكنني قريبا سأضع بين يديك التفاصيل المهمة يا مولاي .

فقال بربار : الحرب هي التي تشغل الجنود والفرسان .. فالراحة تدفعهم للتآمر على الأسياد .. عجل بخبر تلك الجزيرة فإني قد اشتقت لامتشاق السيف والقتال والثياب الأرجوانية من دماء القتلى والجرحى .



في هذا الحين وصلت مالونيا سفن الأبقار والأغنام التي بصحبتها العبد مروان ، ولقد كان مدبر الطعام في قصر الملك والقصور الأخرى وبعض الجنود في الميناء لشراء اللحوم الحية ، وبينما هم يتنقلون بين التجار لشراء ما يلزمهم التقى مدبر القصر بالذئب برهان ، فهو يعرفه جيدا أليس هو أخا الملك ؟! فدهش فهو قد علم أنه قد مات منذ سنوات في حملة جزيرة سانتي ؛ ولكنه هو نفس صورته ، فناداه باسمه المعروف فلم يجبه فاقترب منه وقال : يا هذا ما اسمك ؟

فرد ذؤيب : أنا اسمي العبد مروان أتيت لبيع الأبقار والأغنام .

عرفه مدبر القصر على نفسه وقال : إنك تشبه الأمير ذؤيب .

فقال الرجل بغضب خفيف : أنا يا سيدي لست أميرا أنا راعي غنم وبقر .

فقال الفارس وهو يحدق فيه ويقول لنفسه : نفس صوت الأمير إنني أعرفه جيدا فسأله قائلا : ما قصتك أيها الفارس ؟!

حضر عفرا للمكان وقال : مالك أيها الأمير مع العبد مروان ؟

فقال الفارس الأمير : إنه يشبه الأمير ذؤيب أخو الملك بربار العظيم .

ضحك عفرا وارتبك في نفس الوقت وقال : هذا أيها الأمير عبد أسير اشتريناه من سنوات قليلة من قرصان البحر فهو ليس أميرا ولا وزيرا .. بل رجل مسكين قليل الكلام حتى أنه لا يذكر من ماضيه شيئا ، اسمه لا يعرفه فسميناه مروان .

فكر مدبر طعام القصور الملكية بكلام عفرا وقال: يا رجل أتاك السعد والغنى للابد انتظر في الميناء أنت ومن معك حتى أعود ولا تخف فلك الأمان .

وأمر اتباعه بالمحافظة عليه ، ومشى على جواده حيث بيت الأمير صقير فهو صديق له أيضا ، ووجده في أطراف الحديقة بين أعشابه التي يزرعها ويرعاها لصنع المركبات العلاجية ، فقص عليه الأمر ، فركب صقير على بغلته وسار معه مع الفارس الأمير هلمان إلى الميناء ، فلما رأى العبد مروان صاح من الفرح والدهشة : إنه والله لذؤيب ! وأقسم على ذلك يا هلمان .. إنه أخي !

فقال العبد مروان : يا قوم .. ما بكم أنا لا اخوة لي أنا راعي أبقار في مزرعة الأمير ضرار .

جلس صقير مع عفرا ، وسمع منه قصة العبد مروان ، وكيف اشتروه من قراصنة البحر؟ وكان مصابا بفخذه فعالجوه ، فشكره صقير في النهاية وقال : ابشروا بكل خير وسعادة هذا أخو الملك بربار العظيم ؛ ولكنه فاقد للذاكرة من هول المعركة والصدمة التي تعرض لها جيشه .. لابد من أخذه ومعالجته .

فأمر صقير باستضافة كل رجال القافلة ، ولما وصل الخبر لبربار كاد يطير من الفرح والحبور ، فهو قد حرك جيشا كبيرا لبلاد الشرق على أمل لقاء الاخوة ، فهو يحبهم حبا كبيرا ، فأسرع إلى لقاء أخيه واحتضنه وقال : نعم ، والله إنه الذئب برهان ابن سراجة وبهرام .. حمدا للرب .

وأمر الملك هلمان بشراء كل حمولة القافلة بأفضل الأثمان وإكرام الجميع غاية الإكرام ، ودفعوا مالا كثيرا ثمن حرية العبد مروان ، وقال هلمان لعفرا : إذا لم يحب سيدك هذا الثمن

فليزرنا معك وسيكافئه الملك بربار .

وكان عفرا قد رفض أخذ الثمن بداية ؛ ولكن الأمير هلمان قال " هكذا أمرني الملك " ، وتم إرضاؤهم وإكرامهم فابتاعوا بضاعتهم ، وعادوا لبلادهم مسرورين ، وكان ملك مالونيا سعيدا بعودة الذئب برهان وتعجب من قدرة الله ، ومن الأقدار ، وقد تألم وأسف لمرض ذؤيب وقال لصقير : هذه مهمتك يا صقير فأرنا براعتك اليوم في الطب يا فارس الحكماء !.

فأجابه ذهب النهار الطبيب : اهتم بأمر حكمك ودعني أداويه .. فذؤيب ظهر لي من نظراته وسرحانه أنه تعرض لصدمة كبيرة أفقدته الذاكرة والذهن .

فقال بربار بحزن وهز أكتاف : وهل أصعب على النفس من كارثة سانتي .. ؟!



مصير مالونيا

لقد تم القبض على الفارس الهارب ايفانز والجارية الحمقاء سراد في إحدى المدن هاربين ، فنقلوهما لمالونيا وقام كبير الأمن والقائد جرار بالتحقيق معهما ، وبعد سماع أقوالهما تم اعتقال أكثر من مائة فارس وفيلسوف ومن أبناء الملوك الذين كانوا كرهائن في مالونيا ، وتوسع التحقيق والاعترافات وانكشف أن هناك مؤامرة كبرى تدبر لقتل بربار، وإثارة الفتن والفوضى في المملكة ، وتبين أيضا أن ملوك أقصى الجزيرة لهم يد في ذلك ، وهم الذين يمكرون لتفتيت مملكة بربار ، وخصوصا الملك دبران ـ وهذا كان من أصدقاء الملك بدوان ـ وعنده الكثير من الفرسان والأنصار، ورغم فشل قتله بالسم بواسطة الجارية سراد ، فقد انكشف أنهم كانوا يخططون لقتله عن قريب أثناء رحلة صيد في وسط الربيع ، فأرسل القائد جرار وراء دبران الذي رفض الانصياع وأعلن انفصاله عن المملكة الكبرى ، وقد جاءهم جاسوس ملاريون بأخبار تلك المدينة ، وكشف لهم أن ملوك آخرين يفكرون بالانفصال وعدم دفع الأموال والأنعام ، فلما سمع بربار الأخبار واطلع على كل الحقائق والمعلومات والاعترافات فقال معقبا : هل يرى هؤلاء الملاعين أني أصبحت هرما وعجوزا وضعيفا ليطمعوا بي لهذا الحد ؟! فلتشتعل الجزيرة لهبا ونارا.

وطلب من رئيس الفرسان الأمير جرار تجهيز جيش بخمسين ألف بطل لغزو مدن الشمال ، وأن يبقى مثلهم لحراسة مالونيا وحمايتها ، وأن يجهز مثلهم من المدن المجاورة والموالية للقيام بحملة تطهير من الخونة والضعفاء ، وكان من المعروف في تلك الجزيرة أن لكل فارس كبير جندا خاصا به يدفع لهم أجورهم مما يحصله من الملك ومن الأرض والضياع ، وعند نشوب الحرب يدفع لهم الملك بربار أجرهم ، ومن لا يستطيع تحمل نفقات هؤلاء الجنود والفرسان ، فإما أن يهبهم لصديق أو يسرحهم فيعملون مع قائد آخر وهكذا ، ولكل ملك جيش خاص حسب طاقته وطاقة البلد وصغرها وكبرها ، وهناك جيش عام للبلد يدفع لهم من خزائن الدولة ، وعند الدعوة للحرب يدعى الناس للالتحاق في الجيش العام ، فمن

يرغب أن يلتحق بكتيبة أو فرقة يسجل اسمه عند أمراء الأجناد ، فيلحق بكتيبة أو فرقة ، ومن الشائع أن يكون الجند الملحقون بالكتائب واجبهم حراسة القصور والأميرات وأملاك الأمراء طيلة أيام الحرب ، وفي أيام السلم يسرح كثير من الجنود ، وبعدما تنتهي الأموال التي حصلوها تبدأ مشاكلهم في الأسواق والحانات ، ويبدءون بالبحث عن وسائل الارتزاق ؛ فإن سمعوا بمغامر في بلد ما يطلب جندا فمن استطاع لحق به ، هكذا تكون حياة الجنود في تلك الممالك ، يتنقلون من فارس لآخر، ومن قائد إلى قائد ، فكان للملك مالونيا ما يزيد عن خمسين ألف جندي تتحمل نفقاتهم خزينة الدولة ، وله من ضمنهم خمسة آلاف فارس يتزعمهم الأمير الفارس جرار، هؤلاء أجورهم من أموال الملك خاصة ، وهناك قادة وفرسان لهم فرسان بما يقارب العشرين ألف ، وكل مدينة كما ذكرت سابقا لها أمير أو ملك أو فارس حسب كبر وصغر المدينة لها جند ، التحق قادة الجند والفرسان بالحملة التي ينظمها الملك لغزو وتطهير الجزيرة الكبرى فكانوا عشرين ألفا ، والتحق من جيش الملك عشرون ألفا ، من ضمنهم ألفا فارس من فرسان برباr لحمايته ، وقام رئيس الفرسان جرار بتجنيد ستين ألف فارس ليبقى خمسون ألفا لحراسة مالونيا بقيادته ، ومعهم من بقي من فرسان وجيش الملك ، وأرسل للأمراء والملوك بإعداد خمسين ألف آخرين ، وتقرر أن يسير الأمير ملاريون بصحبة الملك في هذه الحملة الضخمة ، وترك زوجته ريهان الحامل تنتظر مولودها برعاية القائد جرار وتحرك برباr بنفسه في الجيش ، ومشى معه أطباؤه وعلماؤه ومستشاروه ، وظل جرار نائبا عن الملك ، ورتب معه طرق الاتصال ونقل الأخبار، وحشد الملك دبران والمتمردون معه من الملوك والأمراء جيوشا جرارة أيضا لمقابلة جيوش الملك الفارس برباr ، وعلموا أن أمامهم إما الموت وإما النصر لا ثالث لهما فلن يرحمهم برباr ، الذي أعلن بدوره بأنه سيعفو عن كل ملك ينسحب من القتال ، ومن أمام جنوده ، ويبقيه ملكا على أن يظل ولاؤه لمالونيا العظمى ، فدب الرعب والخوف بين المتحالفين من هذا العرض ، وتعاهدوا من جديد على الوفاء والقتال ، وأخذوا على أنفسهم المواثيق والعهود على الثبات في وجه الملك برباr ، ثم أمر برباr

بنشر خبر مخيف وعنيف أنه لن يسمح أو يعفو عن أي جندي أو فارس يقع أسيرا أو يستسلم إذا نشبت الحرب .. فكل جندي أو فارس يترك الحرب والقتال وجيشه قبل المعركة فله الحرية والعفو وجائزة ملكية ، اضطر الملوك المتمردون أمام هذه الحيلة بزيادة رواتب وأجور الجند والقادة والفرسان مما كلفهم المزيد من الأموال ، وأتت الأخبار غير مشجعة للملك بربار ، فوافق على مؤامرة قد دبرت لاغتيال الملك دبران ، فأصدر القائد الأمير ملاريون الأمر لعيونه في مدينة أقصى الجزيرة بتنفيذ الجريمة ، وكانت جيوش المدن المتمردة تنتظر وصول جنود وجيش بربار على نار خوفا من انفراط عقدها ، وكانت جواسيسهم تنقل لهم تحركات جيش بربار أولا بأول، وقبل وصول الجيش الملكي المحارب لأرض المعركة بأيام جاءه خبر من مالونيا بمقتل نائبه جرار مع مجموعة من الفرسان غدرا من قبل مجموعة من الخونة ، فذعر الملك وأعوانه وحاشيته وأخفوا الخبر عن الجند والملوك والفرسان ، وتعجل بربار في الالتقاء بجيش الملوك المتمردين ، فانفرد الملك بملاريون وقال : هل فشل جنودك بقتل دبران ؟.

قال ملاريون بجد وثقة : أيها الملك .. قبل أن نصل إليهم ستسمع الخبر السار. . وقد استلم الأمير صقير نيابة المملكة بعد مقتل جرار ومساعديه ، وقد تم القبض على مائة من الفرسان يتعاملون مع الخونة ، وشاركوا بقتل البطل جرار ، واستلم قائد الشرطة والأمن قيادة الفرسان .. فالوضع هادىء ينتظر عودتك..

لقد كان الملك دبران يتزعم حملة الأمراء والفرسان والملوك المتمردين على حكم الملك بربار ومملكة مالونيا ، وكان دبران يستعد للالتحاق بالجيش المنتظر قوات وعساكر بربار ، وقد علم باقتراب الجيش من جيوشهم ، والتقت الجيوش اخيرا ، وفي تلك الليلة كان الفرسان الذين يتعاملون مع ملاريون يستعدون لقتل دبران الثائر .. وقد كان في تلك المدينة لص محترف ، وقد سجنه دبران أكثر من مرة ، فأقنعه أحد الفرسان ورجال ملاريون بقتل الملك ، ورتب معه أن يكون قتله تلك الليلة أي قبل المعركة بين تلك الجيوش ، وكان وضع المدينة في هذه الأيام يموج بالتوتر والترقب والخوف ، ويترقبون مصير هذه المعركة القادمة الحاسمة في

تاريخ مدينتهم ، وكثير من الأهالي كالنساء والأطفال والشيوخ صعدوا لأعالي الجبال والكهوف خوفا من وقوع الهزيمة في جيوشهم ، وحذرا من بطش جيوش الملك بربار ، فلهم معها ذكريات قديمة قبل أكثر من عشر سنوات ، ففي غياب الملك دبران عن قصره دخل اللص القصر بحيلة ما ، واختفى داخل الحدائق حتى الليل ، فلما خفت حركة الحرس والجواري والخدم فتسلل إلى حجرة دبران واختبأ فيها ـ وكان رجل ملاريون قد أعطاه تفاصيل كاملة عن القصر والحرس ـ وطال انتظاره وكاد يفقد صبره ، ثم رأى جارية تدخل الغرفة فجأة ، ورتبت سرير سيدها وسمعها تخاطب أخرى : الملكة تقول إن الملك سيأتي الليلة للمبيت هنا وغدا سيرحل .. فقد سبقه الملوك الآخرون إلى الجيش بعد أن تعاهدوا من جديد على الثبات والقتال حتى النفس الأخير وعدم الاستسلام .



وكان اللص ساركونا يلبس ملابس الفرسان الشائعة في المدينة ، ودخل القصر على أنه رسول من إحدى أميرات البلاد للملكة زوجة دبران الملك الثائر ، فدخل ولم يخرج واختفى في الحدائق كما ذكرنا ، وغفل عنه الحرس والخدم ، ولما عاد الملك دبران للقصر بعد نصف الليل من لقاء أخير مع الأمراء والقادة الذين تزعم تمردهم ، والتقى زوجته الملكة واستقبلته وسارت به إلى مخدع نومه وهما يتساران ثم قال لها : أنا مرهق ومتعب وأرغب بالنوم بضع ساعات لاستيقظ باكرا قبل بزوغ الشمس أيقظيني ولا تنسي ذلك.

ودعته الملكة وانصرفت إلى مخدعها ، فخفف الرجل من ثيابه ، وعلق سيفه وخنجره ، وخلع درعه ، ثم رمى نفسه على سريره وهو يهتف قائلا : لابد من النصر على بربار وقتله وقتل كل من وقف معه .

فقال ساركونا من خلفه ، وقد خرج من وراء خزانة الثياب : لن تدرك هذا يا دبران خذها

من يد ساركونا ، وانقض عليه وطعنه في صدره ، ووضع يده على فمه مدة من الزمن حتى خمدت أنفاسه ، ثم خرج فاصطدم برجل فصاح به : أوه ألم ترني ؟

فقال الرجل : يا هذا هل سمعت صرخة مخنوقة مثلي ؟!.

فقال ساركونا بثبات : أبدا ولكني كنت عند الملكة في مهمة خاصة وداعا .

وعلى باب القصر أوقفه الحرس ، وقال له أحدهم : ويحك أما زلت في القصر أيها الرسول ؟!

فقال ساركونا بثبات : كنت عند الملكة حتى رجع الملك ، وأعطتني رسالة للأميرة وكشف له عن رسالة في صدره .

فقال الجندي : وهذه الدماء التي على ثيابك ؟!

فقال بقوة أعصاب : أبدا ، جارية الملكة قبل انصرافي وقع منها كأس فجرحت فضمدت جرحها فعلى ما يبدو أن دمها تناثر على ثيابي سأذكرك لمولاتي الأميرة لتشكرك بدورها للملكة لتقوم الملكة بمكافئتك .. وداعا .

ثم سار إلى فارس ملاريون الذي كان ينتظره في بيت من بيوت المدينة الخالية كما اتفقا ، فأخبره بنتيجة عمله فسر بذلك ، ومن ثم اختفيا عن الأنظار ، وقد نقل الخبر على الفور إلى ملاريون الذي أيقظ الملك بربار فأخبره به ففرح بالخبر ، وأمر بنشر الخبر بين جيش الملوك المتمردين ، فدب الصارخ بينهم في ذلك الظلام " إن الملك دبران قد قتل " ، فانزعج الجنود والقادة فهم قد تركوه قبل ساعات حيا يرزق ، فقال بعض الملوك : إنها دسيسة .. غير معقول لقد تركناه منذ ساعات يسيرة بكل صحة وقوة .. هذه حركة من حركات جيش بربار اللعين وطلبوا من المنادين أن ينادوا بين الجند أن هذه كذبة من كذبات جيش بربار لبث روح الضعف والهزيمة في نفوس جيوشنا ، وماج الجيش نتيجة هذه الإشاعات القاتلة .

وكان بربار أعلن واستعد للقتال عندما وصله الخبر ، فكان الجيش مع ظهور خيوط أول النهار مستعدا للمعركة للاستفادة من مقتل دبران ، وضرب هؤلاء الملوك المتمردين ، وفي الصباح كان خبر مصرع الملك دبران قد تأكد للقواد والفرسان ، فنشبت معركة تشيب لها

رؤوس الأطفال ، واستمرت لليل ، فانهزمت على أثرها جيوش الملوك المتمردة وأخذت في التقهقر للوراء ، وكان بربار قد خطط لاستمرار الحرب في ساعات الليل ، فالقسم الذي قاتل في الصباح توقف عن الحرب ، وتابع المعركة القسم الآخر الذي كان يستعد للمطاردة ، فاستمر الضغط على جيوش الملوك المتمردة على حكم بربار ، وتتابع تقهقرهم حتى دخلوا المدينة وأغلقوا أبوابها، وقد تركوا قتلاهم وجرحاهم وآخرين قد هربوا إلى مدن وبلدان أخرى، وأمر الملك بربار بقتل كل الجرحى وعدم أسر أي جندي ، أمام قوة جيش بربار وشدة الحصار بدأت الملوك تضعف وتهرب في الجبال والى المدن الأخرى ، ودخل الجيش البرباري المدينة واستولى على خزائن الحكم والسلاح ودمرها على من فيها بعد أن استباحها لجنده ثلاثة أيام ، وكان الأحياء قد هرب أكثرهم للجبال وشعابها، وتابع الجيش الزحف حتى وصل لمدينة دبران فكانت خاوية على عروشها لا أحد فيها ، فأمر بحرقها وتدمير قصورها وأحيائها حتى أصبحت رمادا وأطلالا ، وانتقل الجيش لغيرها ، واستمر بربار يطارد المنهزمين ستة أشهر ، وكل مدينة يدخلها يدمرها ويحرقها ، وواصل متابعة فلول المنهزمين ويطاردهم هنا وهناك حتى هلك الكثير منهم ، وفي النهاية اقنع ملاريون بحكم هذه البلاد ، ووضع تحت أمرته نصف الجيش ومن شاء أن يبقى من الفرسان والجند الشعبي ، وأسس مدينة كبرى في مكان غير مطروق لتكون عاصمة هذه المملكة الجديدة ، وبعد سنتين كر عائدا لمالونيا العظمى ، وبعد هذه الحملة العنيفة دب الرعب والخوف من جديد من جبروت بربار بعدما سمعوا ما فعل في تلك المدن والبلاد من الدمار والهلاك ، ولما وصل لمالونيا بمن عاد معه من الأجناد خرج أهلها كعادتهم لاستقباله والترحيب به بعد عودته المظفرة ، وبشروه بغلام قد ولدته زوجته ريهان وقد أصبح يقارب العامين ، ففرح بذلك الصبي أكثر من فرحه بالانتصارات التي حققها ، وأمر من جديد بتوزيع الحلوى وإقامة الولائم للناس ، ووزع الأموال على الفقراء والمحتاجين والأجناد ، وبعدما استراح من السفر واستقبال المهنئين بالنصر وتعزيز الملك ثانية، والمباركة بالمولود أمر بقتل كل الخونة والمتآمرين

على قتله وقتل صديقه الأمير جرار، وبعد هذه الأحداث المرعبة أخذ السكون والهدوء يسود الجزيرة والبلاد.



ذات يوم التقى بربار بأخيه صقير فسأله عن ذؤيب وما حدث في علاجه فقال صقير بحيرة : ما زال ذاهلا ، لا يذكر من الماضي شيئا، ولكنه يهذي في نومه وأحلامه بكارثة البحر والنار ، وأما وهو مستيقظ فلا يذكر شيئا من هذه الأحلام وها أنا أقرأ في الكتب والحكايات لعلي أجد شيئا .. وأفكر بالسفر للشرق وأزور المكتبات الملوكية حتى أقع على الدواء ، فأمره صعب وغير سهل حتى وقع في نفسي أن لا يكون ذؤيبا لولا أنه لا يعرف من ماضيه شيئا .. فما تقول يا أخي الملك ؟

فقال بربار: أنا مستعد أن أتنازل عن هذا الملك والعرش والسلطان على أن يتعافى أخي .. افعل ما تراه مناسبا .

فقال صقير : أريد أن أسافر لمصر والشرق والهند والصين ولسوف ابتاع وأجلب معي الكثير من الكتب .

فقال بربار : نرسل وراء هذه الكتب ، ونتحصل عليها من الملوك وأهل الكتب ..

فقال صقير : أهل النسخ أحيانا كثيرة لا ينسخون كل ما كتبه الكاتب فيختصرون ويحذفون ولدي رغبة بهذه الرحلة .

فقال بربار : وذؤيب ؟!

فقال صقير: تلاميذي أوصيهم به ، لا تقلق عليه ، فتلميذي "سنبلة " وتلميذي " رام بان " حفظا مهنتي وصنعتي والكثير من علمي ، ويمكن الاعتماد عليهما في هذه الصنعة ، وسآخذ معي تلميذي " جمهرة " وخادمي المخلص " صفوان " فحسب ولم يبق إلا إذنك أيها الملك

السعيد .

فابتسم بربار وقال : هذه حياتك فافعل بها ما شئت، وخذ من المال ما شئت .. وارجو من الرب المعبود فاطر الخلق أن ترجع لنا بدواء لأخي الوزير .

تجهز الأمير صقير أتم الجهاز ورتب الأمور مع تلاميذه ، ثم سافر متنقلا بين البلاد والعباد باحثا عن كتب الفلسفة والحكمة والطب ، وما أعجبه من كتاب نسخه عند النساخ وأشرف بنفسه على نسخه، وكان يداوى المرضى أينما حل، ويساعده في ذلك تلميذه جمهرة وخادمهما صفوان ، فنترك الأمير الصغير يرحل في بلاد الدنيا ونعود لملك مالونيا الملك بربار الذي فقد أباه بعد رحيل صقير بأيام ، فقام بما يناسب المقام لوفاة الشيخ بهرام ، وبلغ الأمير الصغير بربارخان خمس سنوات ، وكبرت الأميرة وهم الأيام ، وأصبحت ابنة تسع سنوات ، واشتاق الملك بربار لصديقه الملك ملاريون فبعث له رسالة يدعوه فيها لزيارته بعد طول غياب ، وفي أثناء سفره اعترضته مجموعة من المغامرين فقتلوه مع أعوانه وحاشيته ، وكان قد ترك ملاريون ولده الكبير نائبا عنه فهو ابن عشرين سنة ، فحزن بربار عندما وصله الحدث المحزن من اغتيال ملاريون ، وأمر بتعقب القتلة ومعرفة من حرضهم على هذه الجريمة ، وأمر بإعلان ولده ملكا على البلاد خلفا لوالده الملك ووعده بزيارة قريبة لتعزيز ملكه ، ثم وردت للملك رسالة من أخته ورود تعلمه فيها بأنها مشتاقة لهم وتود زيارتهم هي وزوجها عامر بن وحيد العصر ، فحمل الرسول هدايا لهم ، وأرسل سفينة تنتظرهم في مصر في بلاد الملك زدياب .

كان لمدينة مالونيا جزيرة صغيرة بوسط البحر فيها كتيبة من الحرس الخاص قوامها أكثر من ألف جندي ، ويسكن فيها أبناء الفرسان الصغار مع مربييهم ، فعندما يبلغ الطفل خمس سنوات من أبناء الفرسان والأمراء والقادة حق له أن يرسله لهذه الجزيرة مع الجارية أو الخادم ليتعلم العلم والكتابة والرياضة والفروسية تحت أيدي مهرة من المعلمين والمدربين حتى يبلغ سن الخامسة عشرة فيمكنه بعدئذ أن يعود لمالونيا ، فأراد بربار إرسال ولده إلى تلك الجزيرة مثل الكثير من كبار الفرسان ، فرفضت الملكة ريهان ذلك وخافت عليه من الغدر أو الغرق ،

وبعد جدال وافقت على ذهابه على شرط أن تكون معه ، فأذن لها بربار وهاجرت هي وولداها لتلك الجزيرة الهادئة لتربية الولد العلم والفروسية كسائر أبناء الفرسان والأمراء .

كان كثير من ملوك هذه الجزيرة يخضعون لحكم بربار خوفا من قبضة سيفه وبطشه وانتقامه، وكثير منهم يتمنى موته ورحيله ، وبربار الذكي القوي يدرك كثيرا من هذه المشاعر نحوه ، وهو يعلم أنه تسلطن على هؤلاء بالقوة والسيف ؛ لذلك كان يهتم كثيرا بتقوية الفرسان والجيش ويشاركهم التدريب والمران ، ويتفقد أحوالهم ويختبر ولاءهم ويرسلهم لفض الخلافات والمشاكل التي تنشب بين أمراء المدن ، وبينما هم في هذا السكون والدعة والمسرة أتاه خبر مخيف ، بأن بشرا لا يعدون ولا يحصون دخلوا من أقصى شمال الجزيرة يأكلون الأخضر واليابس ، وهؤلاء البشر متوحشون يأكلون الأنس ، ولا يهابون الموت ، ويعيثون الفساد في الأرض ، وقد دمروا كثيرا من البلاد والمدن ، وهم يقتربون من مملكة الملك الراحل ملاريون مملكة الملك سلاريون ، ثم أتت الأخبار أن جيش تلك المملكة فر واندحر أمام هؤلاء الوحوش ، وأن الناس يهربون من أمامهم إلى قمم الجبال ، وقد اقتربوا من مدن مالونيا نفسها فأعلن الملك التعبئة الكاملة للجيش والفرسان وفي كل المدن للتصدي لهؤلاء الوحوش ، واستعد بربار لمقاومة هذا السيل الجارف وهؤلاء الجبابرة العتاة الذين يقتحمون المدن والبلدات بلدة بلدة ، وقد أثاروا الرعب والخوف في الأهالي لوحشيتهم ، فهم يدمرون المدينة ويحرقونها ولا يرحمون صغيرا ولا كبيرا ولا شيخا ولا عجوزا ، ولا تسلم من شرهم شجرة ولا ثمرة ولا دار ، وكان الناس يهربون أمامهم ويتحدثون عن جرائمهم ووحشيتهم وفظائعهم وقساوة قلوبهم، وهم يزحفون للقضاء على مملكة مالونيا ، ولم تستطع المدن مقاومتهم ففروا من أمامهم ، فهم أقوام مثل الجراد المنتشر كرات وكرات ، فتشاور بربار والقادة والحكماء على معالجة هذه المحنة فاقترحوا عليه مغادرة المدينة أمام هؤلاء الوحوش وركوب البحر ، ويأمر الناس بالنجاة والهرب من أمامهم ، فكان أمرا صعبا وقاسيا على بربار ولكن في ذلك الظرف كان لابد منه ، فصعد الناس لرؤوس الجبال ومنهم من هرب باتجاه

المدن الأخرى ومنهم من هرب للجزر في البحر ، وصعد الجنود والأمراء إلى المراكب والسفن ودخلوا البحر ، ودخل الوحوش مالونيا فحرقوها عن بكرة أبيها ، ومن وجدوه قتلوا ، وكان بربار قبل هربه وبعد خروج الناس أمر بتسميم الآبار بأقوى السموم ، واستمر الوحوش في مالونيا عاصمة مملكة بربار ثلاثين يوما حتى أضحت سوداء من كثرة الحرائق وانتشرت فيها الأمراض من الجثث المشوهة ، فكما قالوا لقد حلت بالمدينة كارثة رهيبة ، ذكرت بربار بها فعله بجزيرة سانتي ، فأسف وحزن وبكى بكاء الأم الثكلى على ما أصابها من الهلاك بعد ذلك العمران والعز والجاه والتقدم والرخاء ، فكاد يموت كمدا ثم قال معزيا لنفسه : هذا حال الدنيا عز وذل وملك وقتل !

ولما خرج الغزاة الوحوش منها عاد الناس المذهولون لما حل بمدينتهم لاعمارها من جديد ، ولما رأى الفارس الدمار الشديد بأم عينيه قال من بين دموعه الغزيرة : لنا أكثر من عشرين سنة نبني .. وتنهد وتابع قائلا : لا يشفي غليلي إلا قتل هؤلاء الملاعين ، لابد من حرقهم وسفك دمائهم .

ولما اكتملت عودة الناس للمدينة المحروقة أراد مطاردة الغزاة الهمجيين ، فأشار عليه الحكماء بالصبر وألا يفعل الآن فهم ما زالوا في أوج اندفاعهم الشرس ، وهم كثر رغم ما سقط منهم من قتلى وموتى، وقد استمروا في الزحف نحو الغرب، وأثناء عودتهم قد يتمكن من سحقهم ، وفي هذه الأثناء وصلت الأميرة ورود وزوجها عامر وأخوات الأمير عامر وأزواجهن لمشاهدة هذه الدنيا التي وراء البحر الكبير، فلما رأوا الكارثة اقشعرت أبدانهم وحزنوا لما حل بمالونيا ، فازداد اشتعال النار في قلب بربار ، فأرسلهم إلى الجزيرة التي يسكنها الصبية عند الملكة ريحان ، وما زالت الأخبار السوداء والقصص الموحشة تأتي وتنتشرعن وحشية الغزاة الزاحفين ، ولم يعد يطيق بربار الصبر على سماع أخبارهم ، فصمم على مطاردتهم والفتك بهم ، وناشد جنده على خوض هذه المعركة التي ترد الكرامة والكبرياء للفرسان ، وناشد جنود المدن الأخرى الانضواء تحت لوائه ، ووعد الملوك الذين يخضعون

لحكمه بحرية ممالكهم ، ويعتقها من أي ارتباط بمملكة مالونيا إذا شاءت الانفصال ، ويكتفي بمملكة مالونيا فقط إذا تحقق سحق هؤلاء الغزاة وإبادتهم من الوجود ، وجد هذا الاقتراح الحماس وصدى لدى الملوك الآخرين ، وتجاوبوا معه سريعا ، فخرج كل ملك بنفسه وجيشه وفرسانه لمطاردة هؤلاء الوحوش الذين يتجهون نحو الغرب ، وما زالوا يعيثون الفساد والخراب والدمار في الأراضي التي يطئونها ، فاجتمع بين يدي الملك بربار أكبر جيش في الجزيرة ألف ألف فارس فخطب فيهم قائلا : هدفنا الوحيد قتل هؤلاء الأشرار .

وزحف الملك الجبار بالملوك والجيوش الذين يزيدون عن عشرين ملك ، وكانت تلحق بهم جيوش الشمال لما سمعوا بعرض بربار الأخير ، وظلوا يسيرون خلف الغزاة حتى أدركوهم في مدينة السهل الأحمر ، وزحفت الجيوش بعضها على بعض، ودارت معارك طاحنة وفريدة من نوعها في ذلك الزمان الغابر ، واستمر الحرب بين الفريقين أياما وأيام ، فني فيه خلق كثير حتى لم يبق من الغزاة سوى بضعة آلاف سقطوا أسرى وفيهم ملوكهم ، وكان عليهم ملك وحش قصير القامة كأنه القزم ؛ ولكنه يشبه وحش الفلاة دموي النظر ، ومن كتبت له النجاة من جيش بربار والملوك عاد لمدينته وبلدته ، وفي مالونيا نفسها تم إعدام ملك الوحوش حياته وانتهت بذلك غزوة هؤلاء البرابرة لهذه الجزيرة ، وتحرر ملوك الجزيرة من قبضة بربار بعد هذه المعركة الكبيرة ، وانكمش على أثرها بربار العظيم ، وعاد كما بدأ ، وعادت مالونيا كما كانت أيام الملك هيلاني والد نابولي ، فضحك بربار لحال الدنيا ثم خاطب وزيره جبارا قائلا : أخشى أن أعود رقيقا كما جئت لهذه الجزيرة أول مرة ! فضحك الوزير: لا تستغرب ذلك يا ملك الزمان

فضحك بربار بجنون وقال : قد قهرت ملوك الدنيا بحد هذا الحسام وملوك الهند وملوك هذه الجزيرة .. وبلغ مجدنا عنان السماء .. يا إلهي .. يا إلهي !! ثم خفض من صوته وبصره قائلا : ما أخبار ولدي بربار خان ؟! .. لي أكثر من ثلاثين سنة في الحرب والقتال والدماء والجراح يا جبار .. عادت بي الذكريات للوراء عندما دخلت الجزيرة أسيد بن بهرام العبد

الرقيق للملك الطيب جليان .. آه يا ولدي بربارخان! كم من الأصدقاء والخلان فقدت يا جبار .. ملاريون الصديق الوفي ، والفارس الشهم جرار ، والملك الصديق جليان ، والبطل نابولي .. البطل نابولي ماذا أقول له إذا التقينا بعد الموت ؟! هل أخبره بدمار مالونيا ؟! وهل أخبره بما حل بي من بعده ؟! وكيف تنازلت عن مملكتي وعدت حاكما لمالونيا ؟؟؟! آه يا جبار .. لقد كبرت في السن ، تجاوزت الخمسين بقليل لقد دب بي العجز والضعف .. دنيا ماكرة ترفعك في العلا ثم تهوي بك في الحضيض .. هكذا حال الأيام ، لو أن بربارخان كبير العمر لأعطيته ما بقي لي من عز وجاه .. أخي ذؤيب لا يدري من هذه الأحوال شيئا ، وأخي صقير اختفى وانقطعت أخباره .. أمي سراجة عجوز على وشك الرحيل وترك هذه الدنيا لأهلها وناس جدد .. يا جبار أريد أن أزور جزيرة الأولاد لأرى أسرتي ريهان وابنتي وولدي بربارخان .. جهز لي مركبي أيها الأمير لعلي ارتاح هناك من هموم هذه الدنيا وأحوالها المتقلبة بضعة ليال .

الملك سنبلة

سافر الملك الكئيب لجزيرة الأولاد ، وتولى جبار قيادة البلاد ونائبا للملك ريثما يعود ، وكان في انتظاره هناك حزن جديد ، كانت زوجته الهندية ريهان مريضة تحتضر وولده مصاب بحمى شديدة ، وعجز أطباء الجزيرة عن شفائها ، فأرسل الملك وراء سنبلة أو رام بان، وقبل وصول سنبلة فارقت روح الملكة جسدها، وبعدها بيوم لحق بها ابنها بربارخان ، فازدادت غمة الملك على غمته السابقة، فكان يبكي وينوح كالثكلى ، فقاسى الملك من الوجع والألم والحزن والكمد ما يذيب الحديد ، وتمنى الموت من شدة الكرب والحزن ، فلما وصل سنبلة متأخرا عزى الملك وشاركه حزنه ، وهون عليه مصيبة الدنيا بالحكمة والقصص والمآسي ، ثم طلب منه مغادرة الجزيرة فقال : فلنترك هذه الجزيرة الحزينة أيها السلطان الكبير .. والموت قدر الله وقوته .. فدعك من طول الحزن والهم .. فالحياة عبر فيوم فرح وآخر ترح .

كان كلام سنبلة على قلب بربار كالبلسم على الجرح ، فاستمع له وأخذ الأميرة وهم الأيام وغادروا إلى مالونيا ، ورغم محاولتهم الخروج من الحزن ظل الحزن مخيما عليه وعلى فتاته ، وأخذ يكثر من الجلوس مع الفلاسفة حتى هدأت نفسه، فجمع العلماء وقادة الجيش والأطباء والحكماء في قاعة القصر الجديد ذات ليلة وقال مخاطبا لهم جميعا : أيها السادة الطيبون .. لقد مللت الحكم والقوة والسلطة ، ولدي رغبة جامحة وقوية بترك هذا الكرسي للحكماء وأهل العلم لتجربوا حظكم معهم .. وقد أطلعني الحكيم سنبلة على كتاب جمعه عن الحكم والعدل والإدارة والأخلاق الفاضلة .. وبما أنني لا أستطيع تطبيق ما فيه فأريد أن أترك الفرصة للحكيم سنبلة في حكم هذه المدينة ، وأقوم برحلة نحو الشرق مع وحيدتي وهم الأيام .

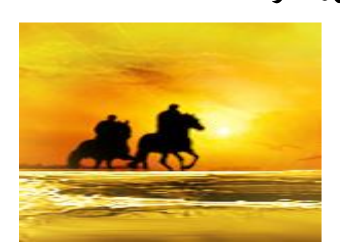
ضجت القاعة بالصوت العالي والهمس وزاد الصراخ والاحتجاج ولما عاد الهدوء للمكان قال بربار : لقد قاتلت منذ ثلاثين سنة .. وكثير منكم قاتل معنا وبنينا مملكة عظمى سار بحديثها الشعراء والكتاب .. ولكنكم لاحظتم كيف ذهبت أدراج الرياح في أيام معدودات ؟ فقد دمر الغزاة كل ما صنعا وشيدنا .. فلماذا لا ندع فرصة لهؤلاء العلماء والحكماء بإنشاء مملكة

جميلة هادئة مسالمة ؟! .. فأطيعوني ودعوا سنبلة يحكمكم .. تعال يا سنبلة أمام هؤلاء القوم وتكلم ..

ترك الأمير النبيل سنبلة مقعده واقترب من مكان جلوس الملك وحيا الحاضرين ثم قال : أيها السادة .. فاجأني الملك بهذه الخطوة الكبيرة .. كما فوجئتم أنتم بها .. وأنا لا أطمع بحكم وسلطان .. أنا ألفت كتابي لتحسين أحوال المدينة والحث على العدل والسلام بدلا من الظلم والحرب .

فوقف بربار مقاطعا : أيها الأمراء والقادة إنني أتنازل عن العرش والحكم للحكيم سنبلة لإصلاح حال الناس والبلاد .

وبعد جدال عميق وشديد وكلام كثير وافق الجميع على تنصيب سنبلة ملكا على مدينة مالونيا ، وبعد تمنع من سنبلة وافق في النهاية وبايعه القوم ، وتم إعلان اعتزال بربار عن عرش مالونيا وارتقاء الفيلسوف الحكيم سنبلة عرش المملكة ، واستلم الحكيم الشاب الحكيم ، فقام بإلغاء نظام الفرسان المعمول به في أكثر مدن الجزيرة وقال : " يكفي الجيش للدفاع عن حدود البلاد ، وبالشرطة للأمن الداخلي ؛ فبذلك نوفر أموالا كثيرة للصالح العام ، ونترك الحروب والمغامرات من أجل توفير أجور الفرسان ".



وبعد شهور من استلام سنبلة الفيلسوف الحكم ماتت والدة أم الملك بربار الأميرة سراجة ، فلما انتهى العزاء والمواساة استأذن بربار من الملك وسادة البلاد بالرحيل للشرق ، وأوصى سنبلة الملك والأمراء على أخيه ذؤيب ، وأخذ ابنته وهم الأيام وغلامين مخلصين له ، ورحل للشرق لزيارة ملك مصر وأخته ورود لعله ينسى ما أصابه من المآسي والهموم في تلك الأيام الخالية ، وإن قدر له البقاء على قيد الحياة سوف يعود للجزيرة ، فركب البحر كإنسان مغمور

وكان كثير البكاء والدمع وهو على ظهر المركب ، فوصل مصر بسلام والتقى بالملك زدياب ، وتعجب لحاله وتخليه عن الحكم ، وقد تذكر ما كان عليه من عز وجاه في المرة السابقة ، فقال متعجبا : البطل المغامر صاحب الطموح الكبير بربار والمحارب الجبار يتخلى عن حكم الناس إن هذا لشي عجاب !.

ومكث بربار ضيفا في مصر بضعة أشهر ، ثم سافر للشام ثم إلى مدينة الجدول ، واجتمع بالملك وحيد العصر وأخته ورود وزوجها عامر ، وفرحوا برؤيته ورؤية الأميرة وهم الأيام ، فخطبها الأمير عامر لأحد أولاده ، فتزوجت ابن عمتها، وتابع الملك المعتزل بربار رحلته إلى بلاد الهند ، وسار برفقته ابنته وزوجها لزيارة جدها طرخان ، فوجده ما زال على قيد الحياة ؛ ولكنه شيخ كبير ، وما زال يتذكر الفارس بربار، وتعجب الشيخ من قصة تنازله عن العرش فأمر بتدوين سيرة بربار في صحف الهند ؛ لتكون قصة وعبرة وتسلية للملوك والحكام في بلاد الهند ، وانبسط طرخان برؤية حفيدته وهم الأيام ، وتألم لموت ريهان وبربارخان ، وظل الفارس بربار سنة في ضيافة الملك طرخان تنقل خلالها في بعض أمصار الهند ، ثم رجع لمدينة الجدول ، وكان كلما سأل خلال ترحاله بين البلدان عن أخيه صقير أو ذهب النهار إلا ذكر له الناس أن هذا الحكيم دخل البلد وداوى بعض مرضاها ثم رحل ، وأثناء وجوده ثانية في مدينة الجدول مات ملكها الشيخ وحيد العصر وخلفه ابنه عامر ملكا على المدينة ، فمكث بربار في هذه البلدة بضعة سنين وهو ما زال يسأل عن ذهب النهار ، حتى صدف أن ذكر له رجل أنه سمع بهذا الحكيم في بلدة اسمها " سلمان " بالقرب من العراق ، فله مدرسة هناك فاستأذن بربار من عامر وأخذ غلاميه وسافر لتلك البلد " سلمان " ، فلما دخلها سأل عن مدرسة الحكيم نهار ، وبالفعل وجد أخاه صقيرا في تلكم المدرسة، فتعانقا عناقا طويلا وقص عليه قصته ، فتعجب صقير لذلك وقال بعدما سمع أخاه يعاتبه : لا تعتب عليّ أيها الأمير فلي سنون مفارقا تلك البلاد ، فقد وصلت أقصى الشرق بلاط ملك الصين ، ونقلت الحكمة والطب الذي أعرفه لهم ، وأخذت ما لديهم من حكمة وعلم، ثم مررت ببلاد الهند وبلاد

الثلج ، وها أنا وصلت إلى هنا إلى هذا البلدة منذ عهد قريب ، فعالجت وداويت الناس ، فالزمني أمير هذه البلدة بنقل علمي لهؤلاء التلاميذ قبل الرحيل فوافقت ، وأنا الآن في الأيام الأخيرة لنقل ما حفظت من العلم والطب لهؤلاء ، وسأقوم برحلة لمدينة الجدول لعلي التقي بالأخت ورود ، ثم أكر قافلا لمالونيا بإذن الأحد الصمد .. ولكن قصتك عجيبة يا بربار.. فكيف تخليت عن الحكم بهذه السهولة والبساطة؟!

ثم دخل به صقير على أمير البلاد ، وقص عليه قصة بربار فقال الرجل بعد الترحيب : إننا سمعنا بقوتك هنا عندما غزوت الشرق .. ومن ثم زواجك بابنة الملك الجبار طرخان .. وهذا غريب ان تتخلى عن العرش للحكماء !

فقال بربار باسما: هذا حال الدنيا كرهت العروش والحروب .

وبعدما أتم صقير نقل علمه ومحفوظاته لتلاميذ المدرسة حمل كتبه على البغال ورحل بها بحماية جند الأمير إلى مدينة الجدول ، فاستقبلهم الملك عامر وترجى هو الآخر الأمير صقيرا أن ينقل علمه لأهل هذه المدينة ، فجلس بين يديه خمسة تلاميذ ، فمكث معهم عدة أشهر أخرى تعلموا فيها الطب والحكمة ، ثم سافروا لمصر ، واستضافهم الملك زدياب بضعة شهور ، ثم ركبوا مركبا من مراكبه الخاصة إلى الجزيرة الكبرى ، ثم دخلوا مالونيا ، فرحب بهم الملك سنبلة وسادة المدينة وأهل مالونيا الترحيب اللائق بهم ، وقد أدار سنبلة حكم المدينة بسلام وأمان ، وقد أصبحت مالونيا مهوى طلبة العلم في الجزيرة، وأصبحت منارة لأهل العلم والأخلاق، يغدون إليها من الممالك الأخرى لتعلم الحكمة والحكم من الحكيم سنبلة ، فصارت مدينة هادئة آمنة لا تشارك في الحروب التي تنشب بين المغامرين والطامحين والهواة ، وأخذت فلسفة سنبلة الحكيم الملك تنتشر في مدن الجزيرة ، وأخذت أفكاره طريقها بين الملوك والعامة ، وكانت تقوم على العدل والمساواة بين جميع الناس وترك الظلم ..والاهتمام بأحوال الناس وتحسين حياتهم ، وتنظيم المدن ، ونشر المحبة والأخلاق الفاضلة بين العباد ، وغير ذلك من الأفكار الخيالية الحالمة ، فقال بربار لسنبلة بعدما سمع أخبار وأحوال المدينة الطيبة : لقد

نجحت أيها الفاضل نجاحا طيبا مشهودا ، فأدعو لك بالتوفيق وتحقيق أحلامك .. ما أخبار ذؤيب ؟

فقال سنبلة : هو بخير يعمل في مزرعة أبقار كما يشتهي ويحب .

فقام الأخوان بزيارته ، ثم شرح لهم صقير الطريقة التي يريد أن يعالج بها ذؤيبا ، فرحلوا للبحر ومعهم جنود ونيران وسفينة يريدون حرقها ، وعلى ظهرها ذؤيب وبعض الجنود .. الفكرة كانت محاولة تكرار مشهد الكارثة ، فأشعلوا النيران على أطراف البحر ، وكان صقير وذؤيب على متن السفينة والوقت ليل ، وكانت النار الكبرى تلقي نورها على السفينة .. اشتعلت فجأة نار على ظهر السفينة، وصاح جمهرة : الأعداء قتلوا جنودنا قتلوننا .. وصرخ الجنود كما صرخ جمهرة فصرخ ذؤيب على صراخهم صرخة مدوية ووقع على الأرض مغشيا عليه ، فطلب صقير إخماد النيران ونقلوه للشاطئ وادخلوه خيمة واستيقظ ذؤيب وهو يصيح : الموت للأعداء .. الموت للأعداء ..

ولما سكن من الصراخ والصياح قال صقير : ذؤيب ..ذؤيب لقد نجوت من الموت ..

عادت الذاكرة له بعد هذا المشهد ـ وهو احتراق السفينة وصراخ الجند المخيف بغدر الأعداء ـ عادت الذاكرة المفقودة لذؤيب ، وكان مذهولا تدور عيناه فيمن حوله ، فبكى بعد ذلك ، وقام صقير باسقائه شرابا فقال بعد استقراره في جوفه : " كانت مذبحة رهيبة ! "

تذكر ذؤيب البحر وغزو سانتي ، فأخذ يهذي ويصرخ ، فقال صقير : هذه حمى لابد منها .. ونقول الحمد لله .. لقد تذكر المعركة والنيران والغزو .. ستعود الذاكرة بعد هذه الصدمة .

رجعوا لمالونيا بذؤيب الذئب برهان وذهب العبد مروان ، ثم عكف صقير على العلم والطب والحكمة في مدينة مالونيا ، ورحل بربار عنها ترك المدينة إلى الحياة في جزيرة البحر حيث ماتت زوجته الهندية ريهان وابنه بربارخان ينتظر ساعة الموت والنهاية .

هذه هي حكاية الشجاع أسيد بن بهرام ، وما جرى له ومعه من الأهوال في الحروب والقتال حتى صار ملكا عظيما تتودد إليه الملوك والفرسان ، ومع أحداث الزمان وعدم ثبات الأمر على

حال اعتزل الحكم والسلطان ؛ ليكون كعامة الخلق، فأصبح بعد الأمر والنهي فريدا وحيدا في جزيرة في البحر، ينتظر ساعة النهاية الأبدية ، ولابد أن في حكايته العبرة والفائدة من تصارع الأحداث وتدافع الخلق، ومن القاع إلى القمة بين البشر والناس، مع التدبر في مصائب الدنيا ، وما فيها من الحكمة والتدبير ، وإلى حكاية جديدة فيها تسلية مفيدة قد تخفف عن النفس بعض الهم ، وتزيل النكد عن الجسد مع أحداث ومغامرات الأبطال والأشخاص، فإلى قصة قطبة بن سنان ، وما جرى له في بلاد الإنس والجآن ، وأخبار ولديه سالك ومالك وأخبار عماد وحران وإيهاب .



قصص وحكايات الفوارس

مغامرات وخيال وأحلام وأخلاق وأخيار وأشرار وفرسان وشجعان

كل هذا وغيره تجده وتقرأه في هذه السلسة من القصص

الممتعة والمثيرة والمسلية

١	حسان والطير الذهبي	٢	الأمير جفر
٣	عبدالله البحري	٤	رمان
٥	الأميرة نهر الأحلام	٦	زهلول في ارض الجان
٧	مملكة مالونيا الملك بربار	٨	قطبة بن سنان
٩	حصرم بن سلام	١٠	القصر المهجور
١١	نمير وزعيط في جزائر البحر	١٢	انتقام الفارس شهدون
١٣	الأميرة تاج اللوز وولديها	١٤	الفارس جبل بن مجدو
١٥	سيف الزمان وجميلة	١٦	حكاية ريح البحر
١٧	الملك ابن الراعي	١٨	مدينة نجوان
١٩	الملك زرارة والملكة سفانة	٢٠	أبناء الملك سماك